

روايات مصرية للجيب

قضية أخطر العملاء

سلسلة الفاز بوليسية مثيرة للشباب



٢٠٤

٣٨



RASHID

WWW.DVD4ARAB.COM

١ — الجائزة ..

أشرقت شمس ذلك الصباح ، على العاصمة الفرنسية
(باريس) ، حاملة إليها دفءًا غير مألوف ، في تلك الفترة من
أوائل (ديسمبر) ، وانتشى الفرنسيون بروعة الجو ،
فانطلقوا في شوارع عاصمة الفن والجمال ، وانتهزوا فرصة
إجازة الأحد ، ليستمتعوا بساعات من ذلك الجو المنعش ..
وعبرَ واحد من أهم وأشهر شوارع (باريس) ، راح رجل
نحيل ، طويل القامة ، عبّوس الوجه ، يقطع الطريق في خطوات
سريعة ، متجهًا نحو فندق من فنادق الدرجة الثالثة ، تطلُّ نوافذ
وشرفات حجراته على الطريق ، ولم يكد يذلف إليه ، حتى
سأل الرجل القصير ، الجالس في مدخله .

— هل (رولان) هنا ؟

— أوماً القصير برأسه إيجابًا ، وأشار بسبّابه في تراخ ،

مغمغمًا :

— إنه في حجراته يامسيو (ريمون) .

قَطَّب (ريمون) حاجبيه في حنق بلا مبرر ، وهو يتجه نحو
السُّلم ، ويصعد في درجاته بخطوات أشبه بالقفز ، حتى بلغ



الطابق الثاني ، فطرق باب أول حجرة تواجه السُّلم ، وانتظر حتى سمع صوتًا يقول في غِلْظَة :

— من بالباب ؟

أجابه (ريمون) في حُشونة واقتضاب :

— (ريمون) .

ثم دفع الباب ، قبل أن يدعو أحد للدخول ، وأغلقه خلفه ، وهو يتطلع إلى وجه (رولان) ، الذي بدا على العكس منه ، بدينًا مكتظًا ، وقال في بُرود :

— أطلعت صحف الصباح ؟

مطً (رولان) شففيه ، وهزَّ كتفيه ، قائلاً :

— ليس كلها .. فقط (لوموند) و (جوردي فرانس) ،

و

قاطعه (ريمون) في صرامة :

— هل قرأت (الفيجارو) ؟

ابتسم (رولان) وهو يقول في هدوء :

— نعم .. لو أنك تقصد أمر ذلك الصحفي المصري .

برقت عينا (ريمون) البارزتان ، وسط ملاحه النحيلة ، حتى لقد بدا أشبه بمجموعة مخيفة ، في واحد من أفلام الرُّعب الرهيبة ، وهو يقول :

— إننى أقصده بالتأكيد .

وازداد انعقاد حاجبيه في شدة ، وهو يتجه نحو النافذة ، ويتطلع منها إلى المارة ، مستطرذاً في لهجة تنطوي على كراهية عنيفة :

— إنه نفس الصحفي ، الذي أفسد أكثر من عملية لنا من قبل (*) .

والتفت إلى (رولان) بغتة ، مردفاً في حدة :

— تصوّر .. إنهم يمنحونه جائزة !!!

ابتسم (رولان) ، وهو يقول في هدوء :

— رُوَيْدُكَ يا رجل .. إنها جائزة صحفية ، وليست وسامًا حربيًا .. لقد اختارت (الفيجارو) ذلك الصحفي (عصام كامل) ، كصاحب أفضل التحقيقات البوليسية ، في دول العالم الثالث ، وستمنحه جائزة خاصة ، وهذا لا يسىء إلينا .
ضغط (ريمون) أسنانه ، وهو يقول في حَنَق :

— ينبغي أن نقتله .

(*) راجع قصص (قضية حرب الخبابرات) .. المغامرة رقم (٢٥) ،
(قضية كنز القلعة) ، المغامرة رقم (٢٦) .. و (قضية الغواصة المحترقة) ، المغامرة رقم (٢٧) .

رفع (رولان) حاجبيه في دهشة ، وهو يحدّق في وجه
(ريمون) ، ثم لم يلبث أن أطلق ضحكة قصيرة ، مغفمًا :
— نقتله ؟!

ضرب (ريمون) حافة النافذة بقبضته ، وهو يقول في
صرامة :

— نعم .. نقتله .. أَلَمْ يتسبّب لنا في ثلاث خسائر حتى
الآن ؟.

ابتسم (رولان) في سُخرية واستخفاف ، وهو يقول :
— لا وجود للانتقاميات في عالم المخبرات يا عزيزي .
هتف (ريمون) في حِدّة :

— ولكن هناك ما يُطلق عليه اسم (عمليات التصفية) ..
أليس كذلك ؟

غمغم (رولان) في ضَجَر :

— بلى .

ثم اعتدل ، مستطرّدًا في اهتمام :

— ولكن لماذا نخسر ذلك الصحفي ؟

هتف (ريمون) في دهشة :

— نخسره ؟! .. ماذا تُفني ؟! .. إننا لم نربحه يومًا !

ابتسم (رولان) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :
— وَلَمْ لا نفعل الآن ؟

عقد (ريمون) حاجبيه في شدّة ، وهو يتطلّع إلى (رولان)
في خيرة ، قبل أن يغمغم في توتّر :

— قُل لي فيمَ تفكّر بالضبط يا (رولان) ؟

حافظ (رولان) على ابتسامته الغامضة ، وهو يقول :

— قُل لي أنت أولًا ، لماذا أفسد لنا ذلك الصحفي هذه
العمليات الثلاث ؟

ازدادت خيرة (ريمون) ، واختلطت ببعض العصبية ،
وهو يغمغم :

— لأنه كان يدافع عن وطنه .

هزّ (رولان) رأسه نفيًا في ثقة ، وهو يقول :

— بل لأنه كان يسعى خلف نصر صحفي جديد .

لَوّح (ريمون) بكفه ، وهو يقول في عصبية :

— وما الفارق ؟

تألّقت عينا (رولان) ، وهو يقول :

— فارق ضخم يا صديقي .

ثم نهض من مكانه ، واستطرد في لهجة مُعلِّم يشرح أحد الدُّروس المعقَّدة لتلميذ بطيء الفهم :

— هل تذكر يا عزيزي ذلك الدرس ، الذي تلقَّيناه ، في بداية عملنا بالمخبرات ، عن الفارق بين الرجل ، الذي يأتي الصواب إيماناً به ، وذلك الذي يأتيه خشية العقاب ، أو طمعاً في ربح ؟

غمغم (ريمون) ، وقد بدا له الأمر أكثر مدعاة للحيرة ، عن ذي قبل :

— نعم أذكره .

تابع (رولان) حديثه ، قائلاً :

— كانت دراستنا تؤكد استحالة تجنيد الأوَّل للعمل ضد وطنه ، وإمكانية تجنيد الثاني ، واستغلال أقصى إمكاناته ، مقابل مكافآت مالية كبيرة .

شعر (ريمون) بالقلق ، وخشى أن تكون فكرة (رولان) مطابقة لتلك المخاوف ، التي عرَّبت فجأة في صدره ، فغمغم في توهُر :

— (رولان) ، ما الذي تسعى إليه بالضبط ؟

تألَّقت عينا (رولان) ، وهو يقول في حماس :

— إلى تجنيد (عصام كامل) للعمل لحسابنا .
حدَّق (ريمون) في وجهه بذُّهول ، قبل أن يهتف مستكراً :

— هل جُنِيت ... إنها أكثر أفكارك حقاً حتى الآن .

هتف (رولان) في زهو :

— بل أكثرها عبقرية .

وتضاعف بريق عينيه ، وهو يستطرد في لهجة مخيفة :

— أراهنك أنني سأصنع من (عصام كامل) هذا عميلاً

لنا .. بل أخطر العملاء على الإطلاق ..



٢ - الطريق إلى الفخ ..

تهللت أسارير (عصام) بسعادة حقيقية جمّة ، وهو يتلقّى
تهنئات زملائه وزميلاته ، بفوزه بجائزة (الفيجارو) ، وهتف
رئيس قسم الحوادث في سعادة ، وهو يربّت على كتف
(عصام) :

— مرحى يا (عصام) .. لقد أصبحت عالمياً .

ضحك (عصام) ، وهو يقول :

— ليس إلى هذا الحد .. إننى لست أوّل من يتلقّى هذه
الجائزة .

هتف أحد الزملاء في سعادة :

— ولكنك أوّل مصرى يا صديقى .

سأله إحدى زميلاته ، فى فضول :

— ومتى تسافر إلى (باريس) يا (عصام) ؟

ابتسم ، وهو يقول :

— فى الثامنة من صباح الغد .

سأله زميلة أخرى :

— ومتى تتلقّى الجائزة ؟

ضحك ، قائلاً :

— مساء بعد الغد .

ربّت رئيس القسم على كتفه فى حنان أبوى ، وهو يقول :

— وهل ستعود مباشرة يا (عصام) ؟

هزّ (عصام) كتفيه ، قائلاً :

— كلاً بالطبع .. سأنعم بعض الوقت بزيارة معالم

(باريس) الشهيرة ، لمدة أسبوع كامل ، مثل برج (إيفل) ،

وقوس النصر ، ومتحف (اللوفر) وغيرها .

ثم تطلّع إلى ساعته ، مستطردّاً فى اهتمام :

— وسأضطر للانصراف من هنا على الفور .

سأله إحدى زميلاته بخيبة أمل :

— بهذه السرعة ؟

ابتسم ، وهو يجيبها :

— إن لدى موعداً هاماً للغاية .

وأدهشهم جميعاً رنة الفخر والاعتزاز فى صوته ، وهو

يردف :

— مع فريق (ع × ٢) ..

صافح (عماد) و (غلا) صديقهما (عصام) في
حرارة ، وهتفت (غلا) في سعادة :

— ألف ألف مبارك يا أستاذ (عصام) .. إنه لمن دواعي
فخرنا أنك صديقنا ..

إن أصدقاءنا يحسدوننا على ذلك .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

— يالها من أوضاع مقلوبة ! .. أنتم تعلمان أنني لا أستحق
تلك الجائزة ، فأنتم أصحاب الحق في ذلك .

هتف (عماد) :

— بل هو حقك أنت يا أستاذ (عصام) ، فكلماتك
الأنيقة ، وأسلوب عرضك الأدبي الرائع ، هما اللذان جعلاك
تفوز بالجائزة .

زفر (عصام) ، وهو يغمغم :

— وماذا عن موهبتكما في فن الاستتاج ؟

ابتسمت (غلا) ، وهي تقول :

— لقد نلت جائزة أفضل تحقيق صحفي يا أستاذ

(عصام) ، وليس أفضل استتاج بوليسي .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

— أنت على حق يا (غلا) .. شكراً لك :

مال (عماد) نحوه فجأة ، وهو يقول في توثر :

— معذرة يا أستاذ (عصام) ، ولكن هناك رجل يراقبك

منذ فترة .

اعتدل (عصام) ، وانعقد حاجباه ، وتوثر عضلات

وجهه ، وهو يغمغم :

— هل تراه من موقعك يا (عماد) ؟

أوماً (عماد) برأسه إيجاباً في بطاء ، وهو يهمس :

— نعم .. إنه يختفي خلف تلك الشجرة الكبيرة ، في نهاية

حديقة النادي .

ازدرد (عصام) لعابه ، وغمغم في توثر :

— حسناً يا (عماد) ، سأذهب إليه .

ثم نهض من مقعده فجأة ، واتجه نحو الرجل في خطوات

سريعة حازمة ، فقالت (غلا) في توثر :

— يا إلهي !! ماذا سيفعل الأستاذ (عصام) ؟

أجابها (عماد) ، وهو يراقب الموقف في اهتمام :

— أظنه سيواجه الرجل مباشرة :

هتفت في استنكار :

— كيف !؟

ابتسم ، وهو يقول :

— يبدو أن الاستاذ (عصام) يفضل أسلوب المواجهة الحاسمة .. إنه شاب رائع يا شقيقتي العزيزة .

تابع الاثنان يبصرهما (عصام) ، وهو يصل إلى الرجل ، ويقف أمامه ، وشاهدا الرجل يطوى تلك الجريدة ، التي يتظاهر بمطالعتها منذ فترة ، ويتحدث مع (عصام) في اهتمام ، قبل أن يصفحه (عصام) ، ويعود إليهما ، ويقول في لهجة توجي بأهمية الأمر :

— معذرة يا صديقي .. إنني مضطر للانصراف الآن :

وصافحهما في حرارة ، وابتسم وهو يقول :

— سنلتقى بعد عودتي .. أليس كذلك ؟

غمغم (عماد) :

— بالتأكيد .

وصافحته (غلا) في خيرة ، وتابعه يبصرها وهو يلحق

بالرجل ، وينصرفان معاً من النادى ، وقالت في دهشة :

— لست أفهم شيئاً .

ابتسم (عماد) ، وهو يقول :



تابع الاثنان يبصرهما (عصام) ، وهو يصل إلى الرجل ، ويقف أمامه ، وشاهدا الرجل يطوى تلك الجريدة ..

— أما أنا فقد فهمت .

التفتت إليه ، تسأله في دهشة :

— ما الذى فهمته ؟

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

— فهمت من يختفى خلف كل هذا الغموض .

سأله في دهشة .

— من ؟

أجابها في هدوء :

— رئيس قسم مكافحة التجسس يا عزيزتى .

وعاد يتسم ، مستطرذا :

— العقيد (عادل محمود) ..

نهض (عادل محمود) ، من خلف مكتبه ، في إدارة مباحث

أمن الدولة ، ليصافح (عصام) في حرارة ، وهو يقول

مبتسمًا :

— مرحبًا يا (عصام) .. تهنئتي يا صديقى .. إنك تستحق

تلك الجائزة بالفعل .

صافحه (عصام) ، وهو يقول :

— شكرًا لك يا سيادة العقيد .

ثم جلس على المقعد المقابل للمكتب ، مستطرذا في ضيق :

— ولكن أمن الضرورى أن تلجأ إلى تلك الوسائل

المعقدة ، في كل مرة ترغب فيها في رؤيتى ؟

هز (عادل) كتفيه ، وهو يقول :

— إننى أحاول حمايتك فحسب .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول في دهشة :

— حمايتى ؟!

ابتسم (عادل) ، وهو يقول :

— بالتأكيد يا عزيزى .. إن منصبى الحالى يجعل كل من

يتصل بى مباشرة يواجه الخطر ؛ لذا فمن الأفضل ألا يعلم أحد

بكونك أحد رجالنا .

هتف (عصام) مستكرا :

— أحد رجالكم ؟! .. من قال إننى كذلك ؟

تراجع (عادل) في مقعده ، وعقد ساعديه أمام صدره ،

وهو يقول في هدوء وبساطة :

— أيضا يملك ذلك ؟! .. لقد اعتبرناك أحد رجالنا بالفعل ،

منذ قضية الغواصة المحترقة ، التي كدت تلقى حتفك فيها ،
وأنت تعمل لحسابنا(*) .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

— وإني لأفخر بذلك .

أوماً (عادل) برأسه ، مغمغماً :

— وهذا يسعدني .

ثم اعتدل في مقعده ، مستطرذاً في اهتمام وجدية :

— قل لي يا (عصام) : ما الذي تتوقع أن تجده في

(باريس) ؟

بدا السؤال عجيباً لـ (عصام) ، إلا أنه ابتسم في هدوء ،

وهو يقول :

— جائزة أنيقة ، وسياحة لمدة أسبوع هناك .

سأله (عادل) في اهتمام :

— فقط ؟

التفت إليه (عصام) في دهشة ، وهو يقول :

— بالطبع .. ما الذي يمكن أن أجده غير ذلك ؟

غمغم (عادل) في لهجة أقلقت (عصام) :

(*) راجع قصة (قضية الغواصة المحترقة) .. المغامرة رقم (٣٧) .

— أي شيء .

ثم استطرده في هدوء :

— إنك صحفي يا (عصام) ، والصحفيون يمتلكون

حاسة فريدة ، ألا وهي القدرة على جمع المعلومات ، وتحليلها ،

والتوصل إليها ، وهم في هذا أقرب إلى رجال المخابرات ،

أو

صمت لحظة ، قبل أن يضيف في حزم :

— أو الجواسيس .

عقد (عصام) حاجبيه في توثر ، وهو يسأل (عادل) :

— ما الذي ترمي إليه بالضبط يا (عادل) ؟

هز (عادل) رأسه نفيًا في هدوء ، وهو يقول في رصانة :

— لست أرمي إلى شيء .

وصمت لحظة أخرى ، قبل أن يردف :

— إنه نوع من التوعية فحسب .

ثم مال نحو (عصام) ، مستطرذاً :

— هل تعلم كيف يمكنك الاتصال بي ، إذا ما احتجت إلى

وجودي إلى جوارك ، في باريس ؟

غمغم (عصام) ، وقد جذبه الأمر في شدة :

— كيف ؟

قال (عادل) في اهتمام بالغ :

— اتصل بالسفارة المصرية ، وَقُلْ لهم إنك تريد التحدث

مع نائب السفير .

غمغم (عصام) في دهشة :

— ولكن لا يوجد من يعمل في وظيفة (نائب سفير) هذه .

ابتسم (عادل) ، وهو يقول :

— إنهم يعرفون ذلك أيضًا .

صمت (عصام) لحظة ، ثم لم يلبث أن ابتسم بدوره ، وهو

يقول :

— لقد فهمت .

ثم نهض يصافح (عادل) ، مستطردًا :

— لا أظنني سأحتاج إلى استخدام تلك الوسيلة بآسيادة

العقيد ، فأنا أنوي قضاء إجازة هادئة في (باريس) ، دون أية

مشاكل على الإطلاق .

ولكنه كان مخطئًا ، فلقد كانت هناك إجازة حافلة تنتظره ..

وكان يسير بقدميه إلى فخ ..

فخ قاتل ..

٣ — لقاء الشياطين ..

ارتسمت ابتسامة ارتياح وسعادة ، على شفتي (عصام) ،

عندما هبطت به الطائرة في مطار (أورلي) بـ (باريس) ، في

الصباح التالي ، على الرغم من أنه لم يكن صباحًا مشرقًا ،

كصباح اليوم السابق ..

كانت الغيوم الكثيفة تحجب ضوء الشمس تقريبًا ،

والطقس بارد ، رطب ، يُوحى بقرب سقوط الأمطار ..

ولكن (عصام) كان سعيدًا بوصوله إلى (باريس) ،

عاصمة النور والفن والجمال ..

وبكل مرح وبساطة ، أنهى (عصام) إجراءات الوصول

والجمارك ، وغادر الدائرة الجمركية ، وهو يهتف في أعماقه :

— لقد جئتك يا (باريس) .. جئت فاردًا ذراعى ، متلهفًا

لرؤية كل مواطن سحرك وجمالك ، و

بتر عبارته بغتة ، عندما لحى إليه أنه قد سمع اسمه ، يتردد

عبر مكبرات الصوت ، المنتشرة في أرجاء المطار ، فتوقف ،

وعقد حاجبيه ، واستمع إلى النداء المتكرر في اهتمام :

— مسيو (عصام كامل) : الصحفى المصرى ، يتوجّه إلى
استعلامات المطار للأهمية ..

كان النداء يتكرّر بصوت أنثوى هادئ رقيق ، جعل
(عصام) يتسم ، مغمغماً :

— عجباً !!.. هل سأجد هناك حشدًا من المعجبات
يا ترى ؟

زاق له ذلك الحاطر ، فحثّ الخطأ نحو مكتب
الاستعلامات ، ومال نحو موظفته الفرنسية الحسناء ، وهو
يتسم ، قائلاً بفرنسية ركيكة :

— أنا هو الصحفى المصرى (عصام كامل) .

ابتسمت الفرنسية ، وقالت فى رقة ذكرته بخطيبته (نهلة) :

— مرحبًا بك فى (باريس) يا مسيو (عصام) .

ثم أشارت إلى رجل نحيل ، طويل القامة ، بارز العينين ،

راح يتطلّع إلى (عصام) فى اهتمام بالغ ، وغمغمت :

— مسيو (ريمون دى بار) يطلب رؤيتك .

التفت (عصام) فى دهشة إلى (ريمون) ، الذى مدّ يده

بصافحه ، قائلاً فى برود :

— مسيو (عصام) .. مرحبًا بك فى باريس .. أنا

(ريمون دى بار) .. السكرتير الخاص لمسيو (رولان
روچيه) .. صاحب ومدير وكالة (روچيه) للأنباء .

غمغم (عصام) بالعربية فى خيرة :

— تشرفنا .

ثم استطرد بفرنسيته الركيكة :

— هل لى أن أعلم سرّ هذا اللقاء يا مسيو (ريمون) ؟

إجابته (ريمون) فى برود :

— مسيو (رولان) يطلب رؤيتك .

سأله (عصام) فى دهشة :

— لماذا ؟

هزّ (ريمون) رأسه نفيًا فى برود ، وهو يقول :

— لست أدرى .. أظنه أمرًا يتعلق بعملك ، وبالوكالة .

فكر (عصام) لحظة فى أن يعتذر عن تلك المقابلة ، وأن

يؤجلها إلى موعد آخر ، بعد أن يستقرّ فى فندقه ، ويتسلّم

جائزته ، إلا أن الفضول فى أعماقه دفعه إلى أن يقول :

— ومتى يرغب رئيسك فى مقابلتى ؟

تألّقت عينا (ريمون) ، وارتسمت على شفثيه ابتسامة ،

لم تُرق أبداً لـ (عصام) ، وهو يقول فى برود :

— الآن ..

شعر (عصام) بالانهار حتى النخاع ، وهو يتطلع حوله ،
داخل بهو قصر (رولان روجيه) الفاخر ، الذي احتشدت
فيه عشرات التحف الفاخرة ، واللوحات الزيتية الثمينة ، التي
قدّر (عصام) ثمنها بما لا يقل عن ثلاثة ملايين دولار ..
وبينما هو يتطلع حوله في انهار ، سمع من خلفه صوتًا هادئًا ،
يحمل نبرة أشبه بالسخرية ، يقول :
— هل أعجبتك ؟

استدار (عصام) يواجه صاحب الصوت ، الذي يميل إلى
البدانة ، ويبدو شديد التألق ، إلى حد مبالغ ، وهو يغمغم :
— مسيو (رولان) ؟

ابتسم الرجل ، ومدّ يده يصافحه ، قائلاً :
— نعم .. أنا (رولان) .. (رولان روجيه) .
تصافحا في بطن ، وكل منهما يتفرّس في ملامح الآخر في اهتمام
بالغ ، قبل أن يقول (عصام) في هدوء :

— سمعت أنك ترغب في رؤيتي .
ابتسم (رولان) ، وهو يقول :
— هذا صحيح .

ثم قاد (عصام) إلى حجرة مكتبه ، التي بدت كتحفة

ديكور رائعة ، وجلس الاثنان في مواجهة بعضهما البعض ،
وأشعل (رولان) سيجارًا فاخرًا ، وهو يقول :
— هل سمعت عن وكالة (روجيه) للأنباء من قبل يا مسيو
(عصام) ؟

أجابه (عصام) في هدوء :
— بالطبع .. إنني صحفي ، ومن المفترض أن أعرف كل
وكالات الأنباء .

مال (رولان) نحوه ، وهو يسأله في شغف :
— وما رأيك فيها ؟
صمت (عصام) لحظة ، ثم أجاب :
— جيّدة .

عقد (رولان) حاجبيه ، وتراجع وهو يلوح بذراعه ،
هاتفاً :

— بل هي ممتازة .
وسحب نفسًا عميقًا من سيجاره ، وراح ينفثه في بطن ،
فسأله (عصام) في ضجر :

— لماذا طلبت مقابلي بالضبط يا مسيو (رولان) ؟
ابتسم (رولان) ابتسامة غامضة ، وقال :

— العمل يامسيو (عصام) .
ثم عاد يميل نحوه ، وهو يستطرد في اهتمام :
— أتقاضى راتبًا جيدًا ، في الصحيفة التي تعمل بها ، في
(مصر) ؟

أجابه (عصام) في ضيق :
— أظن ذلك .
ابتسم (رولان) في سُخرية ، ونفث دُخانَ سيجاره ، وهو
يقول :

— كم يبلغ ؟
تنهَّد (عصام) في توثر ، وهو يقول :
— مائة جنيه تقريبًا .
تألَّقت عينا (رولان) ببريق خبيث ، وهو يقول :
— يومياً ؟!
أجابه (عصام) في حِدَّة :
— بل شهريًا .
ارتفع حاجبا (رولان) في دهشة مبالغة مفتعلة ، وهو
يهتف :
— ماذا ؟!



وجلس الاثنان في مواجهة بعضهما البعض وأشعل (رولان)
سيجارًا فاخرًا ..

ولوح بذراعيه ، مستطرذا :

— صحفى نابغة مثلك ، يتقاضى هذا المبلغ التافه !؟

غمغم (عصام) فى توثر :

— إنه يكفى .

هتف (رولان) :

— يكفى ماذا ؟

ثم ربت على ركة (عصام) ، قائلاً فى لهجة خاصة :

— مارأيك فى خمسة آلاف دولار شهرياً ؟

حدق (عصام) فى وجهه بدهشة ، وابتسم فى خيرة ، وهو

يغمغم :

— مقابل ماذا ؟

نفث (رولان) دُخان سيجاره ، وهو يقول فى هدوء :

— معلومات .

انعقد حاجبا (عصام) فى شدة ، وهو يقول فى غضب :

— معلومات !؟ .. من تظننى ؟

أطلق (رولان) ضحكة عالية ، وهو يقول :

— ماذا أصابك يامسيو (عصام) ؟ .. أليست مهنة

الصحفى الطبيعية هى جمع المعلومات ؟

هب (عصام) واقفاً ، وهو يقول فى حدة :

— جمعها ، وليس تسريبها يامسيو (رولان) .

ابتسم (رولان) فى هدوء ، وهو يقول :

— ومن قال إننا سنطالبك بتسريب أية معلومات يامسيو

(عصام) ؟

وأشار إليه أن يجلس ، وهو يستطرد :

— يبدو أنك قد أسأت فهمي يامسيو (عصام) .. إننى

أعرض عليك عملاً شرعياً علنياً .

لم يجلس (عصام) ، وهو يسأله فى شك وحذر :

— أى عمل هذا ؟

ابتسم (رولان) ابتسامة غامضة ، ونهض من مقعده ،

واتجه إلى بار داخلى صغير ، فتناول منه زجاجة خمر فاخرة ،

صبَّ بعضها فى كأسين ، وناول إحداهما (عصام) ، الذى

هزَّ كفه نفياً ، قائلاً فى حزم :

— لا أتناول الكحوليات قط .

ابتسم (رولان) ، وقال ضاحكاً :

— أنتخشي على كبديك ؟

أجابه (عصام) فى صرامة :

— بل على ديني .

اتسعت ابتسامته (رولان) ، وحملت قدراً من السُّخْرية ،

وهو يقول :

— لا بأس .. من الطريف أن يؤمن المرء بمبدأ ما .

وجلس في هدوء ، وارتشف رشفة من كأسه ، وهو

يستطرد :

— إنني أعرض عليك عملاً في وكالتي .

سأله (عصام) في حذر :

— أى عمل ؟

أجابه (رولان) في هدوء :

— مراسل للوكالة في (القاهرة) .

غمغم (عصام) في دهشة :

— مراسل للوكالة ؟!

أوماً (رولان) برأسه إيجاباً ، وتألفت عيناه ، وهو يقول

في جدل :

— نعم .. مراسل سرّي ..

٤ — العميل السري ..

مضت لحظات من الصمت ، و (عصام) يحدّق في وجه

(رولان) ، الذي بدا شديد الهدوء ، ينفث دُخانَ سيجاره ،

ويرتشف الخمر من كأسه ، قبل أن يعقد (عصام) حاجبيه

في شدة ، وهو يقول في صرامة :

— إنك تناقض نفسك يا مسيو (رولان) .

سأله (رولان) في هدوء شديد .

— كيف ؟

قال (عصام) في جدّة :

— لقد قلت منذ لحظات إنك تعرض عليّ عملاً قانونياً

علنياً ، ثم إذا بك تؤكد فجأة أنه عمل سرّي .

ابتسم (رولان) ، وهو يقول :

— كَوْنِ العمل سرّياً ، لا يلغى قانونيته يا مسيو

(عصام) .

ثم نهض من مقعده ، واتجه نحو نافذة حجرة مكتبه ، وتطلّع

منها إلى الخارج لحظات ، قبل أن يقول :

— ماذا تعرف عن وكالات الأنباء يا مسيو (عصام) ؟

أجابه (عصام) في توثر :

— أعلم أنها شبكات ضخمة ، تضم عشرات المراسلين والعاملين ، وأنها تتنافس فيما بينها ، على إحراز أى سبق صحفى إعلامى .

مط (رولان) شففيه ، وقال :

— معلومات ضعيفة للغاية .

ثم التفت إلى (عصام) ، مستطردًا فى حماس :

— وكالات الأنباء عبارة عن أخطبوطات هائلة يا مسيو (عصام) ، تمتد أذرعها إلى كل مكان ، ولها مئات العيون ، فى كل ركن من أركان العالم ، وهى منظمات ضخمة ، شديدة التنظيم والتعقيد ، حتى أنها تبدو أشبه بـ

صمت لحظة ، قبل أن يضيف فى ببطء ، وهو يضغط على كل حرف من حروف كلمته ، ويتفرس فى وجه (عصام) فى اهتمام :

— بأجهزة المخابرات المتطورة .

أصابته العبارة موطن شك ، كان ينبض فى قوة ، فى أعماق (عصام) ، فانتبهت حواسه كلها ، وضاعت حدقاته ، وهو يغمغم فى خفوت :

— نعم .. مثل أجهزة المخابرات .

أوما (رولان) برأسه موافقًا ، وهو يستطرد :

— والتنافس بين تلك المنظمات العملاقة ، جعل لكل منها سلاحًا سرّيًا خاصًا ، وعملاء سرّيين ، يعملون لحسابها ، دون أن يعلنوا ذلك ، حتى يمكنهم تحقيق سبق صحفى ، دون أن يخضعوا لأيّة رقابة .

عاد (عصام) يردّد فى خفوت :

— مثل أجهزة المخابرات .

ابتسم (رولان) ، وتألّقت عيناه ، وهو يقول :

— تمامًا .

ارتسمت على شففى (عصام) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

— وستحتاجون إلى معلومات عسكرية بالتأكيد .. أليس كذلك ؟

أدهشه فى شدّة أن أجابه (رولان) فى استخفاف :

— كلاً بالطبع .. إن وكالتنا لا تتعامل فى الأنباء العسكرية قط .

هتف (عصام) فى دهشة :

— قَطُّ ؟!

ابتسم (رولان) ، وقد أدرك أنه ينسج خيوطه السامة ،
حول (عصام) ، في نجاح ، وقال في هدوء :
— قَطُّ .

وعاد يجلس فوق مقعده ، ويلوح بيده ، مضيفاً في بساطة :
— إننا لن نطلب منك إلا نفس المعلومات ، التي يمكن أن
تُشر في صحفكم ، ولكن بأسبقية نشر .
كان هذا يحطّم تماماً تلك النظرية ، التي تكوّنت في ذهن
(عصام) منذ لحظات ؛ لذا فقد ارتسمت الحيرة على وجهه ،
وهو يغمغم :

— فقط ؟!

ابتسم (رولان) ، وهو يقول في هدوء :
— فقط .

صمت (عصام) لحظة في شكٍّ وحيرة ، قبل أن يقول :
— وستدفعون خمسة آلاف دولار شهرياً ، في مقابل ذلك ؟
مال (رولان) نحوه ، وهو يسأله في اهتمام :
— ألا تراه مبلغاً كافياً ؟ .. اسمع يا ميسو (عصام) .. هذا
المبلغ مجرد بداية ، وعندما ثبت تفوقاً ، سأرفع المبلغ إلى

قاطعه (عصام) في حدة :

— ولماذا أنا بالذات ؟

تألّقت عينا (رولان) ، وتراجع في مقعده في هدوء ، وهو
يقول :

— لأنك صحفي ناجح وذكي يا ميسو (عصام) ..
رَأَى الصمت لحظات طويلاً ، و (عصام) يشعر بخيرة
شديدة ، قبل أن يغمغم ، وهو ينهض واقفاً ، وكأنما يعلن انتهاء
الزيارة :

— أعتقد أنني أحتاج إلى فرصة للتفكير يا ميسو
(رولان) .

هتف (رولان) :

— بالتأكيد .

ثم تناول من جيب سترته بطاقة مطبوعة ، باللغة الأناقة ،
وهو يستطرد :

— ويمكنك أن تتصل بي في أي وقت ، إذا ما وافقت على
العمل معي .

غمغم (عصام) في توثر ، وهو ينصرف :

— بالتأكيد يا ميسو (رولان) .. سأفعل بالتأكيد .

ولم يكد (عصام) ينصرف ، حتى ارتسمت على شفتي
(رولان) ابتسامة ساخرة ، وحشية ، مخيفة ، وظهر (ريمون)
من خلفه بغتة ، كما لو كان قد نشأ من العدم ، وغمغم في عصبية :
— كيف يبدو لك ؟

نفث (رولان) دُخانَ سيجاره ، وهو يقول في هدوء :
— عنيد ، صعب المراس ، ولكنه ليس مستحيلاً .
سأله (ريمون) في توتر :

— أهو من النوع الذي يُمكن تجنيده ؟
ابتسم (رولان) في سُخرية ، وهو يقول :
— بالتأكيد ..

ثم التفت إلى (ريمون) ، مستطرذاً في ثقة :
— ثق بي يا عزيزي (ريمون) .. إنني أدير اللعبة بكل
خبراتي في المباريات السابقة ، خلال ربع قرن من العمل ، وأنا
واثق من أنني سأربح تلك المباراة أيضاً ، فأنا لم أخسر بعد ،
ولقد وعدت ، وسأنفذ وعدي .

ونفث دُخانَ سيجاره مرةً أخرى في عمق ، قبل أن يردف :
— سيصبح (عصام كامل) أحد عملائنا السريين .. بل
أخطرهم جميعاً ..

بقي (عصام) صامتاً ، في المقعد الخلفي لسيارة (رولان)
الفاخرة ، يفكر فيما حدث ..
كان كل شيء يبدو له غامضاً ، عجيباً ..
اللقاء ..

والعرض ..
وحتى (رولان) نفسه ..
كل شيء ..

وتضاربت مشاعره في شدة ، فتارة يبدو له العرض منطقياً ،
مقبولاً ، في ظل صراع وكالات الأنباء المتنافسة ، وتارة أخرى
يبدو له مشيراً للقلق والشك ، على الرغم من إغراء الراتب
الضخم ، الذي يفوق شهرياً راتبه من الجريدة ، مُضافاً إليه
مكافآته ، لأكثر من خمسة أعوام ..

واستغرقته الأفكار والخيرة ، حتى سمع صوت سائق سيارة
(رولان) ، يقول في احترام :
— لقد وصلنا إلى فندقك يا سيدي .

تنبه (عصام) إلى أن السيارة قد توقفت أمام الفندق ،
فهبط منها ، وهو يغمغم في ارتباك :

— شكراً .. من حُسن الحظ أنني قد أرسلت حقيتي ، من
المطار إلى هنا مباشرة ، و

قبل أن يتم عبارة ، ارتطم به شاب أعمى ، فسقط الاثنان أرضاً ، وارتبك الأعمى ، وهو يقول في توثر :
 — معذرة .. معذرة يا مسيو .. إننى لم أقصد ..
 نهض (عصام) ، وعاونه على النهوض ، وهو يغمغم في إشفاق :

— لا عليك .. إنه مجرد حادث عرضى .
 قال الأعمى مرتبكاً :
 — يمكننى أن أتحمّل نفقات تنظيف حُلتك ، و
 قاطعه (عصام) ، وهو يربّت على كتفيه ، مغمغماً :
 — لا عليك يا صديقى .. إنه أمر بسيط .
 شكره الأعمى في حرارة ، وانصرف مستعيناً بعصاه ، على حين أمر (عصام) سائق سيارة (رولان) بالانصراف ، وصعد إلى استقبال الفندق ، وهو يقول لموظف الاستقبال :
 — اسمى (عصام كامل) ، وهناك حجرة محجوزة باسمى ، وأظن أن حقيبتى قد وصلتكم .
 ابتسم الموظف الفرنسى ، وهو يقول في لهجة مهذّبة للغاية :



ارتطم به شاب أعمى ، فسقط الاثنان أرضاً ، وارتبك الأعمى ، وهو يقول في توثر .. معذرة .. معذرة يا مسيو ..

— نعم يا مسيو (عصام) .. لقد وصلت حقيبتك ، وتم وضعها في حجرتك .

ثم مدَّ يده إليه ، مستطردًا بابتسامة :

— جواز سفرك يا مسيو .

رَأَى ذلك الأسلوب الرقيق في المعاملة لـ (عصام) ، فارتسمت على شفثيه ابتسامة ارتياح ، وهو يمدُّ يده إلى جيب معطفه ، ليلتقط جواز سفره ..

ولكن جواز السفر لم يكن هناك ..

لقد اختفى مع كل أوراق (عصام) ونقوده ..

اختفى كل شيء تمامًا ..



٥ — الضياع ..

تلاشت ابتسامة موظف الاستقبال الفرنسي ، وتلاشت معها لهجته المهدبة المنمقة ، وهو يعقد حاجبيه في صرامة ، قائلاً :

— آسف يا مسيو ، القانون يجبرنا على ذلك ، إما أن أرى جواز سفرك ، الذى يؤكد أنك مسيو (عصام كامل) ، أو لن تصعد إلى الحجرة أبدًا .

هتف (عصام) فى خنق :

— ولكننى فقدت جواز سفرى ، وكل أوراقى .. لقد سُرِق .. هل تفهم ؟

أجابه الرجل فى حزم صارم :

— أفهم يا سيّدى ، وأشعر بالأسف والحزن من أجلك ، ولكن القانون هو القانون .

شعر (عصام) باليأس ، بعد أن عجز طوال نصف ساعة كاملة ، عن شرح دقّة الموقف للفرنسى ، أو إقناعه بمشكلته ، فزفر فى توثر ، وهو يقول فى غضب :

— لا بأس .. سأستعيد حقيبتى ، وأذهب إلى مكان آخر ،

و

قاطعه الفرنسى فى هدوء :

— معذرة يا ميسو .. هذا مستحيل .

صاح (عصام) فى حنق :

— لماذا ؟ .. أليست حقيبتى ؟

أجابه الرجل فى هدوء :

— هذا لو أنك ميسو (عصام كامل) .

صاح (عصام) غاضباً :

— إننى هو .

قال الفرنسى فى بُرود :

— من يضمن لنا ذلك ؟

مال (عصام) نحوه ، وهو يقول فى حدة :

— من تظننى إذن ؟! .. (أرسين لوبين) أم

(روكامبول) ؟

ابتسم الفرنسى فى هدوء ، وهو يقول :

— ليس هذا من شأنى ياسيدى ، إنه ال

قاطعه (عصام) فى حدة :

— القانون .. نعم .. لقد أصبحت أحفظ تلك العبارة عن

ظهر قلب .

ثم مال نحوه ، ، مردفاً فى غضب :

— كيف يحل قانونك المعقد هذا تلك المشكلة ؟ .. كيف

يمكننى أن أثبت أننى صاحب الحقبة والحجرة ؟

هز الرجل كتفيه ، قائلاً :

— يمكنك أن تجد من يضمنك .

هتف (عصام) فى عصبية :

— أتصلح السفارة المصرية لذلك ؟

أجابه الرجل فى هدوء :

— بالتأكيد .. هل أتصل بها هاتفياً ؟

كاد (عصام) يهتف بالإيجاب ، لولا أن خامره فجأة شعور

بالخجل ، وهو يتصور موقف رجال السفارة منه ، بعد أن فقد

جواز سفره ، فى أول رحلة له خارج البلاد ، فعقد حاجبيه ،

مغمغماً فى ضيق :

— ليس على الفور .

وفجأة ، امتلأت نفسه بشعور قوى بالضيق ..

شعور ملك عليه حواسه كلها ، وارتفع إلى عينيه ، فكاد

ينفجر باكياً فى غيظ ومرارة ..

إنه في بلد أجنبي ، بلا مال ، أو أوراق ، أو جواز سفر ..
إنه ضائع ..

وتذكر في غمرة انفعاله ، ذلك المثل العامى المصرى ، الذى
يقول :

— من ترك داره ، قلَّ مقداره .

وعضَّ على شفتيه في غيظ وحنق وسُخط .

وفجأة ، تذكر (رولان) وبطاقته ، فهتف :

— هل يصلح فرنسيًا لذلك ؟

عقد الرجل حاجبيه ، وكأنما ضايقه أن يلقى (عصام) هذا

السؤال ، وقال في كبرياء :

— بالتأكيد يا مسيو .

التقط (عصام) البطاقة في سرعة ، وناولها للرجل ، قائلاً

في لهفة :

— لُحْذ .. اتصل بهذا الرجل إذن ، وأنا واثق أنه سيسعد

بذلك .

ألقي الرجل نظرة على البطاقة ، وهتف في انبهار :

— أوه .. مسيو (رولان روجيه) ؟! .. لماذا لم تقل ذلك

من قبل يا مسيو ؟

واستعاد صوته تلك اللهجة المهذبة الراقية ، وهو يدير
قرص الهاتف ، مغمغمًا في احترام شديد :

— معذرة يا مسيو (عصام) .. إنه القانون .. معذرة .

أدهش ذلك الموقف (عصام) في شدة ، فعقد حاجبيه ،

وهو يغمغم :

— يبدو أنك رجل شديد السطوة والقوة هنا ، يا مسيو

(رولان) ..

وعلى الرغم من ذلك ، فإن إحساسه بالضيق لم يتلاش ،

وإنما تضاعف ..

تضاعف عشرات المرات ..

لم يكد (رولان) يتلقى محادثة (عصام) ، حتى أرسل إليه

(ريمون) على الفور ، ولم يكد هذا الأخير يصل إلى الفندق ،

حتى تبدل موقف (عصام) هناك تمامًا ، إذ بدأ الجميع يعاملونه

في احترام مبالغ فيه ، وبتوقير شديد ، يشف عن مكانة (رولان

روجييه) البارزة ، في المجتمع الباريسى ، وسرعان ما وجد

(عصام) نفسه في جناح فاخر ، بدلًا من تلك الحجرة ، التى

استأجرها مُسبقًا ، ولم تلبث حقيته أن انتقلت إليه ، فى الجناح

الفاخر ، و (ريمون) يُشرف على كل ذلك في بُرود مخيف ،
حتى انتهى كل شيء ، فالتفت إلى (عصام) ، يسأله :
— هل فقدت نقودك أيضًا ؟

شعر (عصام) بالضيق ، وهو يقول :
— نعم .. ولكن

قبل أن يتمَّ عبارته ، التقط (ريمون) حافظة نقوده ،
وأخرج منها حفنة من الأوراق النقدية ، دفعها إليه ، قائلاً :
— احتفظ بهذا إذن .

سأله (عصام) في حدة :
— ما هذا ؟

أجابه في هدوء ، وهو يعيد الحافظة إلى جيبه :
— عشرة آلاف فرنك فرنسي .

هتف (عصام) في دهشة :
— كم ؟

أجابه (ريمون) في هدوء ، وهو يغادر الحجرة :
— مجرد عربون .

وقبل أن ينبس (عصام) ببنتِ شفة ، كان (ريمون) قد
غادر المكان ، بقامته الطويلة النحيلة ، وترك (عصام)
وحده ..

وشعر (عصام) بتوتر شديد ، وهو يمسك بالنقود ..
لقد بدت له الأمور وكأنها مرتبة ومنسقة على نحو خاص ،
يدفعه دفعًا نحو (رولان روجيه) ..
وضاعف هذا من شعوره بالضياح ..
ضاعفه عشرات المرات ..

أطلق (رولان) ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن يجمع
محتويات كأسه من الخمر دفعة واحدة ، ويقول :
— رأيت كم أجيد اللعبة يا عزيزي (ريمون) ؟ .. إنني
أجذب ذلك الصحفي المصري إلى خيوطي في سرعة وثقة ،
حتى لن يجد أمامه سوى العمل لحسابي .
غمغم (ريمون) في سُخْط :
— كنت أتمنى أن أقتله ، لأن أمنحه جناحًا فاخرًا ،
وعشرة آلاف فرنك .

أطلق (رولان) ضحكة أخرى ، وهو يقول :
— هذا لا يساوي شيئًا ، أمام ما سنجنه من وراء ذلك
الصحفي ، بعد أن يصبح أخطر عملائنا في (مصر) يا عزيزي
(ريمون) .



وشعر (عصام) بتوثر شديد ، وهو يمسك بالنقود ..
لقد بدت له الأمور وكأنها مرتبة ومنسقة ..

وأشعل سيجاره ، قبل أن يستطرد :
— أنت لا تعرف المصريين ، كما أعرفهم أنا يا عزيزي .. إن عروقهم تجري فيها دماء أسلافهم ، وهؤلاء الأسلاف مزيج من الفراعنة والعرب ، أى أن المصريين يملكون الشجاعة والنبل والذكاء معاً .. وهم يتأثرون ببعض اللحظات العاطفية ، التي تحمل صورة الفروسية والشهامة ، ويعجزون عن رفض أى مطلب ، لمن يظهر أمامهم في هذه الصورة ، وبالنسبة للصحفى ، كنت أنا منقذه ، بعد أن شعر بالضياع ، لفقد جواز سفره ، وأوراقه ، ونقوده ، وستأسره هذه الخدمة ، فلا يجروا على معاندتي مرة أخرى ، بفضل أخلاقياته ونبله .
مطاً (ريمون) شفتيه ، وكأن هذا الحديث لا يلقي منه قبولاً ، ولوح بكفه ، قائلاً :
— أكنت واثقاً من أنه سيتصل بك ، بعد أن نشل (موشى) حاجياته ، وهو يلعب دور الأعمى ؟
ابتسم (رولان) فى حُبث ، وهو يقول فى ثقة :
— بالتأكيد يا صديقى .. إنها عملية نفسية مَحْضَة ، فلقد وقع فى مشكلته ، بعد أقل من ساعة ، من إعطائى بطاقتى له ، وتاكيدى عليه بضرورة الاتصال بى ، إذا ما احتاج إلى شيء ما ،

ثم إن (مورييس) قد قاده إلى ضرورة البحث عمّن يضمّنه .
غمغم (ريمون) :

— يالك من ثعلب !

أطلق (رولان) ضحكة عالية ، وهو يقول :

— هكذا لعبنا يا صديقي .. إنها لعبة ثعلاب .

وصمت لحظة ، ثم برقت عيناه في جدل ، وهو يستطرد

في حزم :

— والثعلب الأذكى يربح اللعبة كلها ..



٦ — عملية صيد ..

ثقل هائل ، ذلك الذي جثم على صدر (عصام) ، بعد
انصراف (ريمون) ..

لقد بدت له كل الأمور مرتبكة ، متوترة ، حتى أنه لم يعد
يشعر بذرة واحدة من السعادة أو الاستمتاع ، لكونه في
(باريس) ، التي كان يتلهّف إلى الوصول إليها بأيّة وسيلة ..
لقد أفسد عليه ما حدث كل متعة ..

ولساعة كاملة ، راح (عصام) يضرب أخماساً في
أسداس ، محاولاً فهم ما يعنيه كل ذلك ، حتى أعياه التفكير ،
فألقي جسده المنهك على الفراش ، واستغرق في نوم عميق ..
وعندما استيقظ (عصام) ، كان الظلام قد خيم على مدينة
النور ، التي استعاضت عن ضوء الشمس بأنهار من المصابيح
المتألّثة ، التي بدت في صورة مُبهرة ، وكأنّ العاصمة الفرنسية
قد تحوّلت كلها إلى شعلة ضوء واحدة ..

وأعاد ذلك المشهد الرائع إلى (عصام) نشوته ،

وفرحته ، فأسرع يرتدى ثيابه ، وغادر الفندق ، ليُفحص في قلب (باريس) .

كل شيء رائع مشير مُبهر جَذاب ..

المتاجر ، والحوانيت ، والمطاعم ، والملاهي ، وحتى الفرنسيون والفرنسيات ..

كانت سهرة رائعة ، أمضاها (عصام) في تلك المدينة ، التي خلَّبت لُبَّهُ منذ حداثته ، ومن قبل أن يحلم حتى بزيارتها .. وعلى الرغم من استمتاعه ، وسعادته ، حرص (عصام) أشد الحرص ، على ألا ينفق فرنكًا واحدًا ، من تلك النقود ، التي أعطاه إياها (ريمون) ..

كان يملك عشرة آلاف فرنك ، ويتصرف كسائح فقير ، لا يجد قوت يومه ..

وكان هذا مرهقًا حقًا ، فكل شيء من حوله كان يُغري بالإنفاق والاستمتاع والسعادة ، لولا شعوره العنيف بالحدَر ، وبالكرامة ..

ومع دقائق منتصف الليل ، بدأ (عصام) رحلة عودته إلى فندقه ، وابتسم وهو يقارن بين (باريس) منتصف الليل ، و (القاهرة) نفس الموعد ..

وكان الفارق ضخمًا ..

ف (القاهرة) في منتصف الليل مدينة هادئة ، وخاصة في فصل الشتاء ، عندما يأوى تسعون في المائة من السكَّان إلى فراشهم ، طلبًا للدَّفء ، ورغبة في نوم عميق ، استعدادًا ليوم عمل جديد ، على حين يقضى معظم العشرة في المائة الباقون سهرتهم ، أمام التليفزيون ، أو أجهزة الفيديو ، لمشاهدة فيلم جديد ، أو برنامج طريف .

أما هنا (في باريس) ، فالأمر يختلف تمامًا .. صحيح أن الجوَّ قارص البرودة ، إلى حدِّ يفوق أقلَّ درجة برودة عرفتْها (القاهرة) في عمرها كله ، إلا أن الشوارع مزدحمة ، والحوانيت والمتاجر مضيئة ، والفرنسيين يملأون الشوارع ، والابتسامات تملأ الوجوه .. وسيكون من العسير عليك أن تميِّز ما بين أوَّل الليل ومنتصفه ..

وهذه هي (باريس) ..

كل هذه الخواطر دارت في رأس (عصام) ، وهو يعود إلى فندقه ، وبينما كان ينحرف في طريق ضيق ، يقوده إلى ذلك الشارع الضخم ، حيث فندقه ، سمع من خلفه صوتًا يقول بالفرنسية في خشونة :

— لحظة يا مسيو .

توقف (عصام) ، والتفت في آلية نحو مصدر الصوت ،
ولم يكذب يفعل حتى التصقت فوهة مسدس باردة بأسفل ذقنه ،
ورأى خلفها رجلاً غليظ الملامح ، مُجَعَّد الشعر كثيفه ، كَثَّ
الحاجبين ، يقول في غلظة :

— نقودك أو حياتك .

انطلقت ضحكة عريضة من أعماق (رولان) ، وهو
يرتشف الخمر من كأسه ، قائلاً في سُخرية :

— إنه فخٌّ مُحْكَم للغاية يا عزيزى (ريمون) ، ولن يجد
ذلك الصحفي أمامه في النهاية سوى أن يعمل معنا .

عقد (ريمون) حاجبيه ، وأزاح كأسه جانباً ، وهو يقول
في توثر :

— اسمع يا (رولان) .. إن دراستنا واحدة تقريباً ،
وأساليب التجنيد التى يتبعها جهاز مخبراتنا كله واحدة ، وعلى
الرغم من ذلك ، فأسلوبك يبدو لى عجيباً هذه المرة .

سأله (رولان) فى هدوء :

— لماذا ؟

اعتدل (ريمون) ، وهو يقول فى حدة :

— لماذا أمرتنى بإعطاء الصحفي عشرة آلاف فرنك ، ثم

أرسلت (حام) بعد ذلك لسرقته ؟

ارتسمت ابتسامة مأكرة على شفتى (رولان) ، وهو
يقول :

— حتى أتلاعب بمشاعر الصحفي وانفعالاته تماماً
يا عزيزى .

واستقرَّ على مقعده فى هدوء ، وهو يحمل نفس الابتسامة
المأكرة ، مستطرداً :

— لقد شعر بالضياح التام ، عندما فقد جواز سفره وأوراقه
ونقوده ، ثم لم يلبث أن شعر بالارتياح حتماً ، عندما وفرت أنت

له جناحاً بالفندق ، ومنحته عشرة آلاف فرنك .. صحيح أنه
لم ينفق منها شيئاً حتى الآن ، كما أكد مراقبونا ، إلا أنه يشعر

بالأمان والاطمئنان ، لوجود المبلغ فى جيبه ، ولكن عندما
يسرق (حام) المبلغ ، ستتهار مشاعر الصحفي مرة أخرى ،

وكما تعلمنا يا صديقى ، فالشخص النهار ، هو أسهل شخص
يمكن تجنيده .

غمغم (ريمون) فى سُخط :

— وآخر شخص نضمن ولائه ، فما إن يتجاوز مرحلة
الانهيار ، حتى يصبح أكثر خطورة من الأعداء .

ابتسم (رولان) في ثقة ، قائلاً :

— عندئذ يكون قد تورط ، بما يكفي لضمان عدم انسحابه
من اللعبة يا صديقي .

عقد (ريمون) حاجبيه ، متقلّباً الأمر على كل أوجهه ، ثم
لم يلبث أن ابتسم بدوّرهِ ، وهو يقول :

— نعم .. أنت على حق .

والتقط كأسه ، ورفعها عاليًا ، قائلاً في حماس :

— نخب مولد أخطر عملائنا في (مصر) .. (عصام
كامل) ..

كان هذا الموقف يختلف تمامًا ، عن كل المواقف ، التي واجه
فيها (عصام) الخطر من قبل ، فهو في هذه المرة أجنبي ، في
بلد غريب ، ووسط قوم غرباء ..

وعليه أن يعتمد — كل اعتماده — على نفسه ..
وحده ..

وفي توّثر ، رفع (عصام) ذراعيه ، وهو يقول في عصبية :

— لست أملك نقودًا .

ابتسم الرجل ابتسامة ساخرة شرسة ، وهو يقول :

— هكذا !؟

أجابه (عصام) في حدة :

— لا ريب أنك تراقبني منذ فترة ، قبل أن تهاجمني ، فهل
رأيتني أنفق فرنكًا واحدًا .

اتسعت ابتسامة الرجل الساخرة ، وهو يقول :

— هذا لا يعنى أنك لا تملك نقودًا .

ودفع فوهة مسدّسه في عنق (عصام) في غنف ، ثم دفع
أصابعه في جيب معطفه ، والتقط العشرة آلاف فرنك ، وهو
يقول ساخرًا :

— وما دمت لا تملك نقودًا ، فساكتفى بهذا المبلغ
المتواضع :

طار صواب (عصام) ، عندما وجد نفسه يفقد تلك
النقود ، التي حصل عليها بعد أن فقد نقوده ، فصاح في
غضب :

— إنك لن تفعل .

وبسرعة مذهشة ، لم يصدّق (عصام) نفسه أنه

يملكها ، تراجع برأسه إلى الوراء ، وانحنى ، وغاص بجسده كله إلى أسفل . فتفادى تماما الفوهة القاتلة ، ثم عاد ينتصب في عُنف ، ويهوى بكل ما يملك من قوة ، على فك الرجل بلكمة كالقنبلة ، قفز لها جسد الرجل ما يقرب من مترين إلى الخلف ، قبل أن يسقط على ظهره ، ويفلت مسدسه من يده ..
واندفع (عصام) نحو المسدس ، محاولا التقاطه ، ولكن الرجل دفع ساقه في طريقه ، صائحا :
— ليس بهذه السهولة ..

تعثّر (عصام) في ساق الرجل ، وسقط على وجهه ، إلا أن غريزة البقاء في أعماقه ، جعلته يقفز واقفا على قدميه ، ويواجه خصمه ، الذى نهض بدوره ، واندفع نحوه ، صائحا :
سأسحقك أيها المصرى .
وهوت لكمة الرجل قوية عنيفة ، إلا أن (عصام) أمال رأسه جانبا ، وتفادى اللكمة ، وهوى بدوره على معدة الرجل بلكمة عنيفة ، قائلا :

— ليس من السهل أن تسحق المصريين يا رجل .
ثم قفز جانبا ، وانحنى يلتقط المسدس ، وهو يستطرد :
— وسأثبت لك ذلك الآن .



واندفع (عصام) نحو المسدس ، محاولا التقاطه ، ولكن الرجل دفع ساقه في طريقه ..

ولكن الرجل ركل المسدس في غنف ، وهوى بقبضته على
معدة (عصام) ، صائحا :

— ما الذى ستثبته ؟

وأعقب لكمته بأخرى على فك (عصام) ، الذى سقط
أرضا ، وهو يهتف فى أعماقه :

— اللعنة !.. إنه قوى بالفعل .

ثم قفز مرة أخرى واقفا على قدميه ، إلا أنه تجمد تماما فى
مكانه ، عندما وجد أن الرجل قد استعاد مسدسه ، وأنه يصوبه
إليه ، صارخا فى وحشية :

— لقد انتهت أيها المصرى .. لقد انتهت ..



٧ — وسقط البطل ..

فجأة ، برز رجل من الظلمات ..

رجل ممشوق القوام ، قوى البنية ، انقضَّ فجأة على
(حام) ، وركل مسدسه ركلة مباغته ، فأطاح به بعيدا ، ثم
دار على عقبيه ، وَلَكَمْ (حام) فى معدته لكمة قوية ، جعلت
هذا الأخير يتأوه ألما ، ثم يتراجع فى حدة ، وينطلق مبتعدا
بأقصى سرعة ، وهو يعدو وكأن شياطين العالم كلها تطارده ..
ودون أن يتبين (عصام) ملاح الرجل فى الظلام ، راح
يردّد فى انفعال :

— (عادل) ؟!.. أهو أنت يا (عادل) ؟

اقرب منه الرجل ، واتضحت ملامحه مع اقترابه ، فتراجع
(عصام) خطوة ، وهو يقول :

— من .. من أنت ؟

أجابه الرجل فى هدوء ، وبفرنسية أنيقة :

— (جان) يا مسيو (عصام) .. اسمى (جان) .

تنبه (عصام) إلى أن الرجل قد خاطبه باسمه ، فعقد حاجبيه ، وهو يغمغم في شك وحذر :

— هل تعرفنى ؟

أجابه (چان) فى هدوء :

— بالتاكيد ، فأنا حارسك الخاص .

هتف (عصام) فى دهشة :

— حارسى الخاص ؟!

أوما (چان) برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم يامسيو (عصام) .. لقد كلفنى مسيو (رولان

روچيه) حمايتك .

مرة أخرى هتف (عصام) فى دهشة :

— (رولان روچيه) ؟!

ثم مال نحو (چان) ، يسأله فى جدّة :

— ولماذا طلب مسيو (رولان) حمايتى ؟

هزّ (چان) كتفيه ، وهو يقول :

— لست أدرى — لقد اتصل بى ، ولم يقل سوى جملة

واحدة : « اذهب إلى فندق (ريجنت) ، وقم بحماية صحفى

مصرى ، يدعى (عصام كامل) ، وسأدفع كل النفقات ،

ثم أغلق الهاتف .

قفزت نبرة الشك إلى صوت (عصام) ، وهو يقول :

— فقط ؟!

رفع (چان) كفه أمام صدره ، وهو يتسم ، قائلاً :

— أقسم إنه لم يزد حرفاً واحداً ، حتى الآن .

تفرّس (عصام) فى ملامح (چان) لحظات فى شك ..

كان شاباً وسيماً ، أشبه بنجوم السينما الفرنسية ، أزرق

العينين ، ناعم الشعر أسوده ، يحمل وجهه ابتسامة جذابة ،

تتناقض كثيراً مع روحه القتالية العنيفة ، التى رآها (عصام)

منذ لحظات ، عندما أنقذه من (حام) ..

وبعد فترة صمت قصيرة ، غمغم (عصام) :

— كيف تعرفتنى إذن ؟

ابتسم (چان) ، وهو يقول :

— إنه أمر بسيط للغاية يامسيو (عصام) .. لقد سألت

موظف الاستقبال عنك ، فأشار إليك ، عند مغادرتك

الفندق ، ولم أفعل أنا سوى أن تبعتك .

وأطلق ضحكة قصيرة ، قبل أن يستطرد :

— وكان هذا من حُسن حظك ، وإلا سلبك ذلك اللص

العشرة آلاف فرنك التى تملكها .

وانحنى يلتقط رزمة الأوراق النقدية ، التي سقطت من
(حام) ، في أثناء القتال ، وناولها لـ (عصام) ، مردفًا :
— ها هي ذى .

تناول (عصام) رزمة الأوراق النقدية ، ودسها في جيبه ،
وهو يقول :

— أعتقد أن مهمتك قد انتهت هكذا يا (چان) .
هز (چان) رأسه نفيًا ، وهو يتسهم ، قائلاً في هدوء :
— لا أحد يملك هذا القول ، سوى مسيو (رولان) ، فهو
الذى استأجرني للمهمة .

صمت (عصام) لحظة أخرى ، وهو يتطلع إلى وجه
(چان) ، ثم قال في هدوء :
— حسنًا يا (چان) .. أخبر مسيو (رولان) أنني أريد
مقابلته صباح الغد ..

وصمت لحظة ، قبل أن يردف :
— لأشكره على كل ما فعله من أجلى .
أجابه (چان) في هدوء :
— سأفعل .

وتصافحا في صمت ، ثم اتجه (عصام) إلى فندقه ..
تحت الحماية ..

يمكننا أن نجزم ، وبكل ثقة ، بأن جفنا واحدًا لم يغمض
لـ (عصام) في تلك الليلة ، وهو يتساءل في فراشه :

— لماذا يفعل (رولان) كل هذا من أجلى ؟
ويبدو أن نظرية (رولان) كانت صحيحة ، إذ بدأ
(عصام) يرى فيه صورة للشهامة والفروسية ، حتى أنه راح
يغمغم :

— لماذا أنظر إلى الأمر بكل هذه الحساسية ؟.. الرجل
صاحب وكالة أنباء معروفة ، يحاول اجتذاب صحفى نال جائزة
خاصة ، للعمل لحسابه .. إنها صفقة تجارية عادية .. إننى لست
الصحفى الوحيد ، الذى يعمل لحساب وكالة أنباء أجنبية ، ثم
إنها فرصة العمر .. خمسة آلاف دولار شهريًا .. أحق هو من
يرفض ذلك .

كان هناك مصدر غامض للشك في أعماقه ، يجعل حداثته
يبدو له غير مقنع ، دون أن يدري سببًا لذلك ..
كان هناك شيء ما يقول له : إن الأمور ليست عادية ..
ولكنه لم يميز أبدًا هذا الشيء .

وعاد يغمغم في توثر :
— و (رولان) هذا رجل شهم ، أو هو رجل أعمال

ذكى ، فلقد هرع لمعاونتى ، فور احتياجى إليه ، وأرسل رجلاً
لحمائى ، دون حتى أن يخبرنى بذلك .. إنه رجل ممتاز حقاً .
ولكن ذلك الشئ الغامض فى أعماقه راح يلح .. ويلح ..
ويلح ..

استيقظ (عصام) فى الصباح التالى مرهقاً للغاية ، إذ لم يَتم
سوى ساعتين على الأكثر ، بعد شروق الشمس ، ولولا تلك
الطرقات الحازمة على باب الجناح ، لو اصل نومه حتى العصر ..
إلا أن تلك الطرق دفعتة دفعا إلى الاستيقاظ ، وُحِيلَ إليه
لحظات أنه فى منزله فى (القاهرة) ، وهو يتجه نحو باب
الجناح ، قائلاً بالعربية :

— رُوَيْدَكَ أَيُّهَا الطارق .. إننى فى الطريق إليك .

فتح باب الجناح ، ووقف لحظة يحدّق فى وجه (ريمون)
فى خيرة ، قبل أن ينتبه بغتة ، وتضح له الأمور كلها دفعة
واحدة ، فيهتف فى دهشة :

— مسيو (ريمون) .. كيف حالك ؟

غمغم (ريمون) بروده المعهود ، وهو يدلف إلى الجناح :
— فى خير حال .

ثم التفت إلى (عصام) ، واستطرد :
— مسيو (رولان) ينتظرك فى قصره .
غمغم (عصام) فى دهشة :
— ينتظرنى أنا ؟

عقد (ريمون) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

— أَلَمْ تطلب ذلك من (چان) أمس ؟

لوهلة ، حِيلَ لـ (عصام) أنه لم يسمع اسم (چان) هذا
أبداً من قبل ، ثم لم يلبث أن تذكر فجأة كل شئ ، فهتف :
— بالطبع .. سأرتدى ثيابى ، ونذهب على الفور .

أدهشه ذلك البريق الخفيف ، فى عيني (ريمون) البارزتين ،
وهو يتسم ابتسامة أشبه بابتسامة شيطان ، مغمغماً :

— نعم .. على الفور ..

وهنا استيقظت روح الشك فى أعماق (عصام) ..
استيقظت فى شدة ..

استقبل (رولان) (عصام) هذه المرة فى حديقة قصره
الرائعة ، التى تمتد على كل الجوانب ، لعشرات الأفدنة ،
ويتوسطها حوض استحمام ضخم ، جلست على حوائطه بضع

حسناوات باريسيات ، بثياب الاستحمام ، وابتسم (رولان)
ابتسامة واسعة ، وهو يصافح (عصام) ، قائلاً بنفس لهجته
العجيبة ، التي تجمع ما بين المودة والسخرية :

— صباح الخير يا مسيو (عصام) .. لقد أبلغني (چان)
أنك كدت تفقد نقودك للمرة الثانية أمس .

أجابه (عصام) في هدوء :

— كلاً .. لم يحدث هذا أبداً .

هتف (رولان) في دهشة :

— كيف ؟ .. لقد أخبرني (چان) ..

قاطعته (عصام) مبتسماً :

— لقد فقدت نقودي كلها في الصباح ، أما ما كنت
سأفقده في المساء ، فهو نقودك أنت .

أطلق (رولان) ضحكة عالية ، وربّت على كتف
(عصام) ، هاتفاً في مرج :

— يبدو أنك تملك روحاً مريحة للغاية يا عزيزي ، و
وفجأة ، بتر (رولان) عبارته ، وحّدق فيما خلف
(عصام) ، على نحو حَفَق له قلب هذا الأخير في غُنف ، وهو
يلتفت خلفه بحركة حادة ..

ولم يكذب فعل حتى تراجع كالمصعوق ، غير مصدّق ما تراه
عيناه ..

لقد كان يتطلّع مباشرة في عيني نمر ..
نعم .. نمر آسيوي قاتل ..



٨ — الصحفي والنمر ..

كان أكثر ما أثار (عصام) ، في ذلك الموقف ، هو رد فعل (رولان) ، الذى تراجع فى دُعر ، وهو يصرخ :
— يا للشيطان !!... نمر ؟!.. كيف أتى ذلك الحيوان المتوحش إلى هنا ؟

اتسعت عينا (عصام) فى دُعر ، عندما سمع ذلك الصراخ ، وتجمد فى مكانه لحظة ، وهو يحدّق فى عيني النمر ، الذى يقف على بعد أقل من متر منه ، يحدّق فى عينيه بدوره ، قبل أن يتراجع (عصام) فى بطاء ..
وفجأة ، وثب النمر ..

وثب وثبة قوية عنيفة مباغتة ، حتى أن (عصام) لم يجد الوقت الكافى للقفز جانباً ، أو الابتعاد ، وإثماً وجد نفسه فجأة تحت رحمة النمر ، الذى ضرب صدره بكفيه الضخمتين ، ثم هوى الاثنان فى حوض السباحة ..

وغاص (عصام) والنمر فى الأعماق ..
غاصا لمترين على الأقل ، قبل أن يبدأ النمر فى الصعود ..



وجد نفسه فجأة تحت رحمة النمر ، الذى ضرب صدره بكفيه

الضخمتين ، ثم هوى الاثنان فى حوض السباحة ..

وحقق قلب (عصام) في قوة ، وهو يصعد خلف النمر ..
إنه يحتاج بالضرورة إلى الهواء ، فوق سطح حوض
السباحة ، وهناك سيجد النمر في انتظاره ، بأنياه القاتلة ،
ومخالبه الحادة ..

كان بين المطرقة والسندان حقاً :

وصعد (عصام) إلى السطح ..

صعد واستشق كل ما أمكنه استنشاقه من الهواء ، ليملاً به
صدره ، ثم غاص مرة أخرى في أعماق الحوض ..
ولدهشته ، غاص النمر خلفه ..

كانت معلومات (عصام) ، وثقافته عن عالم الحيوان
محدودة ، إلا أنه كان يعلم أن الثور لا يجيد السباحة عادة ..
إلا إذا ..

وفجأة ، حسم (عصام) أمره ، وصعد إلى السطح ، ولم
يكذ يستشق الهواء ، حتى هتف في غضب :

— — دُعابة سخيفة يا مسيو (رولان) .

تفجرت عاصفة من الضحك ، اشترك فيها (رولان)
(ريمون) مع الحسانوات الفرنسيات ، وخدم القصر ، قبل
أن يهتف (رولان) ضاحكاً :

— كيف عرفت ؟

لم يجب (عصام) على الفور ، إذ برز رأس النمر الضخم
إلى جواره ، وانحنى فك النمر نحوه ، بأسنانه الحادة ، وأنياه
البارزة ..

وفي هذه المرة لم يتحرك (عصام) ..

فقط لاذ بالصمت ، حتى لعق النمر جانب وجهه ، كما
يفعل أي قط أليف ، فربت على رأسه ، وهو يقول في حنق :
— كان ينبغي أن أنتبه منذ البداية إلى أنه نمر أليف ،
مدرب .

جلس (رولان) على مقعده ، وهو يقول في شغف :
— كيف ؟

سبح (عصام) إلى حافة الحوض ، وصعد إلى السطح ،
والتقط منشفة ، وراح يجفف بها جسده ، وهو يقول في
غضب :

— لأكثر من سبب .. أولها : أننا في حديقة مفتوحة ، ومن
الضروري أن تلاحظ ذلك النمر ، وهو يقترب ، من على بعد
مائتي متر على الأقل ، إلا أنك قد تظاهرت بالدهشة ، وكأنك
قد فوجئت بوجوده ، عندما صار على بعد متر واحد مني ،

وثانيها : أنك وحدك صرخت في دُعر ، على حين لم تصرخ أية فتاة هنا ، وهذا يعني أنهم ألفن رؤية النمر ، وأنت وحدك تلعب دورًا طفوليًا ، وثالثها : أن النمر لا يجيد السباحة عادةً ، إلا إذا كانت مُمرًا مدربة أليفة ، كنمرك هذا .

تألفت عينا (رولان) ، وهو يقول في نشوة :

— عبقرى كالمعتاد يامسيو (عصام) .

ثم أشار إلى أحد خدمه ، مستطرذا :

— لقد أصبت في كل شيء ، فيما عدا أنها لم تكن دُعابة ..

لقد كانت نوعًا من الاختبار لردود فعلك .

والتفت إلى الخادم ، مردفًا :

— خذ مسيو (عصام) ليبدل ثيابه ، ويرتدي ثيابًا جافة ،

وسألتقى به على مائدة الغداء .. هيا ..

وفي هدوء ، تبع (عصام) الخادم نحو القصر ..

ودون أن يدري ، كان قد وقع في نصف الفخ ..

نصفه القاتل ..

كانت مائدة الغداء عامرة بأفخر وأطيب أنواع الطعام ،

إلا أن (عصام) لم يشعر بأدنى اهتمام تجاه ذلك ، إذ أنه لم يكن

أبدًا أكلًا بطبعه ، وإنما اهتم بالتحدث إلى (رولان) ، قائلاً :

— مازلت أسألك يامسيو (رولان) .. لماذا وقع اختيارك على أنا بالذات ؟

ابتسم (رولان) ، وهو يقول في زهو :

— هذا أمر طبيعي يامسيو (عصام) ، فلا يقع اختياري

عادةً إلا على العاقرة .

سأله (عصام) في اهتمام :

— هل يُشعرك ذلك بالفخر ؟

رفع (رولان) حاجبيه ، وهو يقول في غرور :

— بالتأكيد .

مال (عصام) نحوه ، وهو يسأله :

— لماذا تريد مني أن أصبح مراسلًا سرّيًا إذن ؟

ابتسم (رولان) ، وأجابه في هدوء :

— لتصبح أكثر قوة وفاعلية .

عقد (عصام) حاجبيه ، محاولًا استساغة ذلك المنطق ،

وغمغم في توثر :

— ولقد اتفقنا على أنني لن أرسل أية معلومات عسكرية ،

مهما بلغت بساطتها .

هزّ (رولان) كتفيه ، وهو يقول في بساطة :

— بالطبع ، فلسنا وكالة أنباء عسكرية .

بعث هذا القول المزيد من الطمأنينة في نفس (عصام) ،
فغمغم في ارتياح :

— فقط نفس المعلومات ، التي يمكن نشرها في صحفنا .
غمغم (رولان) في هدوء :

— بالضبط .

التفت إليه (عصام) ، يسأله في اهتمام :

— أى نوع من المعلومات ؟

لوح (رولان) بكفه ، وهو يقول :

— أى شيء .. كل ما يمكنك إرساله ، حتى ولو كان أخبار
المواد التموينية ، أو أسعار السلع الاستهلاكية ، أو حتى نقص
الأدوية .. أية معلومات ؟

عقد (عصام) حاجبيه في خيرة ، وهو يغمغم :

— وفيم تفيدكم مثل هذه المعلومات ؟

ضاقت حدقتا (رولان) ، وهو يقول في برود :

— ليس هذا من شأنك .

هتف (عصام) في دهشة واستنكار :

— ماذا ؟

مال نحوه (رولان) ، وقال :

— حاول أن تهضم ذلك المبدأ يا مسيو (عصام) ، مادامنا
سنعمل معاً ، ففي مثل عملنا ، من يعرف أكثر ، يتعرض لخطر
أكثر ، ومن يعرف أقل ، يمثل ضرراً أقل .. هل فهمت ؟
غمغم (عصام) :

— نعم .

وفجأة ، تألقت عيناه ببريق عجيب ، وهو يستطرد :

— فهمت يا مسيو (رولان) ..

وبعدها لم ينطق بعبارة أخرى ، حتى انتهى تناول طعام
الغداء ، فعاد يجلس مع (رولان) أمام حوض السباحة ،
وأشعل (رولان) سيجاره الفاخر ، ونفث دخانه في عمق ،
ثم ابتسم ، قائلاً :

— أظنك لا تعلم شيئاً عن عالم الليل في (باريس) يا مسيو

(عصام) .

سأله (عصام) :

— أتقصد الملاحى الليلية ؟

أطلق (رولان) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

— بل أقصد عالم الجريمة .

هز (عصام) رأسه نفياً في هدوء ، وهو يقول :
— لست أعلم عنه شيئاً .

تألفت عينا (رولان) ، وهو يقول :
— أما أنا ، فأعرف عنه الكثير .

وأشار إلى أحد خدمه ، فاقرب منهما ، حاملاً صينية فضية ، انحنى بها أمام (عصام) ، الذى حدق مدهوشاً في جواز سفره ، وأوراقه ، ونقوده المسروقة فوقها ، وسمع (رولان) يقول في زهو :

— خذها يا مسيو (عصام) فجميعها تمك .

هتف (عصام) في دهشة ، وهو يستعيد حاجياته :
— ولكن كيف استرجعتها ؟

ابتسم (رولان) في تفاخر ، وهو يقول :

— حتى عالم الليل لا يمكنه أن يهزم (رولان روجيه)

يا مسيو (عصام) .

ابتسم (عصام) ابتسامة غامضة بدوره ، وهو يقول :

— لقد فهمت يا مسيو (رولان) .. لقد فهمت .

وفى أعماقه انطلقت ضحكة عالية ..

توقفت سيارة (رولان) الفاخرة أمام فندق (عصام) ، وهبط هو منها في هدوء ، ولوح للسائق بكفه ، قائلاً :
— بلغ تحياتي لمسيو (رولان) .

وبقى واقفاً ، حتى ابتعدت السيارة ، ثم تحرك نحو هدفه .. لم يدلف إلى الفندق ، كما كان متوقفاً ، وإنما عبر الشارع إلى الجانب الآخر ، وسار بخطوات سريعة حتى نهايته ، حيث دلف داخل كابينة هاتفية ، وأخفى دائرة الأرقام بجسده ، وهو يدير رقماً خاصاً ، حتى سمع صوتاً يقول بالفرنسية :

— هنا السفارة المصرية في (باريس) .. من المتحدث ؟
أجاب بالعربية :

— أنا الصحفي (عصام كامل) .

وصمت لحظة ، ثم أردف في حزم :

— أريد نائب السفير ..



٩ — وبدأت اللعبة ..

كان حفل توزيع الجوائز ، الذى أقامته جريدة (الفيجارو) رائعاً بحق ، حضره علىه القوم فى (فرنسا) ، ومشاهير الفنانين والفنانات ، ورجال الصحافة والإعلام ، وعديد من أفراد الجالية المصرية ، الذين حضروا خصيصاً لرؤية (عصام) ، وهو يتسلم جائزته ، ولقد التهت أكفهم بالتصفيق ، عندما فعل ، والتفوا حوله يهتونه ، ويتفاخرون بانتمائه إليهم ، فى حفل العشاء ، الذى تلا ذلك ..

وشعر (عصام) بسعادة جمّة ، لم يشعر بمثلها أبداً من قبل ، فى ذلك المساء بالذات ..

كان نجم الحفل بلا منازع ، وقد بدا أنيقاً للغاية ، فى حلة سمراء رائعة ، ورباط عنق صغير ..

وعند انتهاء الحفل ، فى الثانية صباحاً ، تتنافس العشرات من الجالية المصرية ، لإيصال (عصام) إلى فندقه بسياراتهم ، وانهالت عليه دعواتهم ، على نحو أثلج صدره ، وزاد من شعوره بالانتماء لوطنه ..

وفى الثانية والنصف صباحاً ، وصل (عصام) إلى فندقه .. كان قلبه يرقص طرباً ، وهو يصعد إلى حجراته ، ويدفع بابها ، وهو يهتف فى سعادة :

— لقد أصبحت عالمياً يا (عصام) .

ارتجف جسده فى قوة ، عندما انبعث من ظلام الحجرة صوت هادئ مألوف ، يقول :

— أنت تستحق ذلك يا صديقى .

أسرع (عصام) يضىء الحجرة ، وتطلّع فى وجه ذلك الجالس على طرف فراشه لحظة ، قبل أن تهلّل أساريره ، ويندفع نحوه ، هاتفاً :

— (عادل محمود) ؟! .. يا لها من مفاجأة !! لن يمكنك

أن تتصور مدى سعادتي برؤيتك .

تصافحا فى حرارة ، وربّت (عادل) على كتفه ، قائلاً :

— تقبل تهنأتى بجائزتك يا صديقى ، وتقبل اعتذارى

أيضاً ، فلقد كان من المستحيل أن أحضر الحفل ، على الرغم من رغبتى العارمة فى ذلك .

أوماً (عصام) برأسه متفهّماً ، وهو يغمغم :

— إننى أقدر ذلك .

ثم التفت إليه ، مستطردًا في لهفة :
 — إننى لم أكن أتوقع وصولك بهذه السرعة .
 ابتسم (عادل) ، وهو يقول :
 — لماذا ؟ .. إنك لم تكدي تتصل بالسفارة ، وتذكر اسمك ،
 مصحوبًا بعبارة « أريد نائب السفير » ، حتى اتصلوا بى على
 الفور ، فهرعت إليك على أول طائرة .
 رفع (عصام) حاجبيه ، وهو يقول :
 — عجبًا !! .. إننى لم أئصوّر حتى أنهم قد فهموا ما أغنيه ،
 فلم أكد ألقى العبارة ، حتى أجابنى المتحدث بأنه لا يوجد من
 يحمل لقب نائب السفير ، وأنهى المحادثة على الفور .
 ابتسم (عادل) ، وهو يقول :
 — هذا أمر طبعى ، حتى لا ينتبه أى شخص يراقب
 هاتفك ، أو هاتف السفارة ، إلى أن العبارة تعنى شيئًا .
 ثم عاد يجلس على طرف الفراش ، مستطردًا في جدية
 واهتمام :
 — والآن أريد منك أن تقصّ على القصة كلها .. وبكل
 التفاصيل .

تنهّد (عصام) ، وأجاب :



أسرع (عصام) يضىء الحجرة ، وتطلّع في وجه ذلك الجالس على طرف
 فراشه لحظة ، قبل أن تهلّل أساريه ويندفع نحوه ..

— بالتأكيد .. سأروى لك كل شيء ..
وصمت لحظة ، تفاعلت خلالها في أعماقه عشرات
المشاعر ، قبل أن يستطرد في حزم :
— كل شيء ..

استمع (عادل) إلى (عصام) في اهتمام شديد ، ودون أن
يقاطعه بحرف واحد ، حتى انتهى هذا الأخير من روايته ، فعقد
(عادل) حاجبيه ، ومطّ شفتيه ، وهو يغمغم في ازدراء :
— يالللأوغاد !.. نفس اللعبة القديمة .

هتف (عصام) في انفعال :

— إذن فهم من (الموساد) كما توقّعت !

أوماً (عادل) برأسه إيجاباً ، وهو يغمغم :

— إنهم كذلك ، لعنة الله عليهم !!

ثم التفت إليه ، مستطرداً في اهتمام :

— ولكن كيف كشفت أمرهم يا (عصام) ؟

هزّ (عصام) كتفيه ، وقال :

— إننى لم أفعل منذ البداية للأسف ، على الرغم من كل
ما حدث ، لولا أن تنبّهت فجأة إلى عدة نقاط باللغة الغريبة ،

أولها : أن ذلك اللص ، الذى حاول سرقتى ، قد مدّ يده إلى
جيب معطفى مباشرة ، وأخذ النقود ، على حين أننى لم أنفق
فرنكاً واحداً طيلة الوقت ، فكيف عرف موضع نقود لم
أخرجها أبداً ، ما لم يكن يعرفه مسبقاً ، وثانيها : أن نفس
اللص ، عندما قاتلنى ، هتف في سُخط : « سأسحقك أيها
المصرى » .. وصحيح أن لغتى الفرنسية ليست جيّدة ، إلا أنه
لم يكن هناك ما يشير أدنى إشارة إلى أننى مصرى بالذات ، ما لم
يكن يعلم ذلك منذ البداية ، وكذلك (چان) ، الحارس
الخاص المزيف ، الذى أشار إلى أننى كنت سأفقد عشرة آلاف
فرنك ، على الرغم من أننى لم أخبره بكم النقود التى أحملها ،
وهو لم يعدّها ، بحسب قوله ، فد (رولان) الذى استأجره
لم يخبره بها .

صمت لحظة لالتقاط أنفاسه ، ثم استطرد في انفعال :

— وهكذا أدركت أن الأمر كله مدبّر مفتعل منذ البداية ،

وأنه هناك مخرج واحد لكل هذه الأحداث ، وخاصة عندما قال

(رولان) : « إن من يعرف أكثر يتعرض لخطر أكثر » ، فلقد

ربطت بين العبارة ، والمعلومات الزائدة عند كل من أعرفهم ،

وأدركت أننى لا أواجه مجرد وكالة أنباء تسعى للتفوق ، وإنما

جهاز مخابرات كامل .

ابتسم (عادل) ، وهو يقول :

— ولماذا (الموساد) بالذات ؟

هز (عصام) كتفيه ، ومطأ شفتيه ، وهو يقول في بساطة :

— ومن يكون غيره ؟

ضحك (عادل) ، وهو يهتف :

— رائع يا (عصام) .. لقد صرت عبقرياً بالفعل .

• ابتسم (عصام) ، وهو يغمغم :

— بفضل عملي معك ، ومع (عماد) و (علا) .

وبدا الاهتمام على وجهه بغتة ، وهو يستطرد :

— ولكن ما الذى يريده منى (رولان) هذا بالضبط ؟

أجابه (عادل) في هدوء :

— معلومات .

هتف (عصام) :

— أية معلومات ؟! .. لقد وافقنى تماماً ، عندما قلت إننى

لن أرسل أية معلومات عسكرية !

ابتسم (عادل) ، وهو يقول :

— بالطبع ، فهو لا يحتاج إلى المعلومات العسكرية مباشرة .

في البداية على الأقل .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول في جدّة :

— هل تعلم نوع المعلومات ، التى طلبها منى ؟

هز (عادل) كتفيه ، وهو يقول في بساطة :

— أظنها ستدور حول أسعار السلع الاستهلاكية ،

والأزمات التموينية ، وأسعار الأدوية ، و

قاطع (عصام) في ذهول :

— يا إلهى !!.. كيف عرفت ؟

ارتسمت ابتسامة غامضة على شفتى (عادل) ، وهو

يقول :

— لأن هذا نفس ما سأطلبه ، لو أننى أحاول تجنيد أحد

رجالهم .

هز (عصام) رأسه ، وهو يغمغم في خيرة :

— وفيّم تفيد هذه المعلومات ؟

أجابه (عادل) في لهجة تشف عن خطورة الأمر :

— فى الكثير .

ثم نهض من مكانه ، وعقد كتفيه خلف ظهره ، وهو يتحرّك

في الحجرة ، مستطرداً في اهتمام بالغ :

— أجهزة المخابرات عبارة عن إدارة شديدة التعقيد

يا (عصام) ، وتكوّن من عدة أجهزة فرعية ، يقتصر عمل كل منها على اتجاه محدود للغاية ، فأنت تتعامل الآن مثلاً مع جهاز تجنيد العملاء ، وبعد تجنيديك تتبع جهاز جمع المعلومات ، وهناك ستجد جهازاً لتحليل هذه المعلومات ، وآخر لتقسيمها ، فالخبر الذى يبدو لك تافهاً ، كنقص السكر مثلاً ، عندما يذهب إلى هناك ، ويضاف إلى مجموعة من الأخبار الأخرى ، كانتقال وحدة مهندسين إلى (نجع حمادى) مثلاً ، أو زيادة نفقات الوقت الإضافى فى مصانع السكر هناك ، قد تُعْنى أن الجيش قد جند آلات المصانع لتطوير أو صنع نوع جديد من الأسلحة ، وهكذا ..

هتف (عصام) فى دهشة :

— يا إلهى !!.. يبدو أن الأمر أخطر مما أنظر إليه بكثير !
أوماً (عادل) برأسه ، قائلاً :

— بالتأكيد ، فالعمل فى هذه الاتجاهات ، بالغ الصعوبة والتعقيد .

غمغم (عصام) فى توثر :

— إذن فمن الأفضل أن أبتعد عن ذلك الأمر برُمته ، سأعود إلى (القاهرة) فجر الغد ، و

قاطعه (عادل) :

— بل ستواصل اللعبة يا عزيزى (عصام) .

هتف (عصام) :

— ماذا تُعْنى بالله عليك ؟

ابتسم (عادل) فى غموض ، وهو يقول :

— إنهم يسعون لتجنيدك ، ولن نخيب أملهم .. ستستسلم

لهم ، وتصبح كما يريدون ..

وسرت لحة ساخرة فى ابتسامته ، وهو يردف :

— أخطر العملاء ..



١٠ — العقد ..

ارتسمت ابتسامة ثقة ، على وجه (رولان) ، وهو يلتقط عقد العمل ، الذى ينوى إبرامه مع (عصام) ، ويقدمه إلى هذا الأخير ، قائلاً :

— ها هو ذا عقد تعاوننا يا مسيو (عصام) .

ابتسم (عصام) فى سُخرية ، وهو يقول :

— العقد السرى ؟!

عقد (رولان) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

— هذه طبيعة عملنا يا مسيو (عصام) ، كما شرحت لك .

التقط (عصام) العقد ، وهو يقول :

— لقد فهمت .

زاقبه (رولان) ، وهو يلتقط قلمًا ، وغمغم فى صرامة :

— تذكر قبل أن توقع يا مسيو (عصام) ، أنه من المحتم

ألا يعلم أى مخلوق أننا نعمل معًا ، مهما كانت الأسباب .

أجابه (عصام) فى هدوء :

— لن يعلم أحد يا مسيو (رولان) .

تألقت عينا (رولان) ، عندما وقع (عصام) العقدين فى هدوء ، وناول أحدهما إليه ، ونهض يصفح (عصام) فى حرارة وانفعال ، قائلاً :

— مبارك يا مسيو (عصام) .. أنت الآن أحد رجالنا .

لم يكد (عصام) ينصرف ، فى سيارة (رولان) الفاخرة ، حتى عقد (ريمون) حاجبيه ، وقال فى توتر :

— هل تثق بأنه سيعمل لحسابنا ؟

ابتسم (رولان) ، وقال :

— ليس تمامًا .

سأله (ريمون) فى حدة :

— لماذا تحمل ملاحك كل هذه الثقة إذن ؟

ضحك (رولان) فى زهو ، ونفث دُخان سيجاره فى وجه

(ريمون) ، وهو يقول متفاخرًا :

— لأننا قد ربخنا الجولة الأولى يا صديقى .

ثم رفع العقد ، مستطرذا :

— لقد وقع العقد .

زيمون (ريمون) في حدة :

— أنت تعلم مثلي أن هذا العقد لا يساوي شيئاً ، في مثل هذه الأمور ، فماذا ستفعل لو أنه رفض التنفيذ ؟ .. هل ستقاضيه بتهمة رفض التجسس على بلاده .

أطلق (رولان) ضحكة عالية ، ثم قال :

— يا عزيزي (ريمون) .. هأنذا تثبت لي مرة أخرى ، أن القائمين على شئوننا لم يتحيزوا ضدك ، عندما جعلوا مني رئيسك ، على الرغم من أننا خربنا دفعة واحدة .

عقد (ريمون) حاجبيه في غضب ، وهو يقول :

— ماذا تقصد ؟

لوح (رولان) بالعقد ، هاتفاً :

— هذا العقد يعني أن (عصام كامل) يعمل معنا بإرادته الآن يا رجل ، وهذا في حد ذاته يعني أحد أمرين ، إما أنه يثق فينا الآن تماماً ، أو أنه قد أدرك طبيعة عملنا ، ووافق عليها ، مقابل خمسة آلاف دولار شهرياً ، ونحن نربح في الحالتين .

مط (ريمون) شففيه ، وهو يغمغم في حدة :

— ما زلت لا أثق بذلك .

هتف (رولان) في استهتار :

— ولا أنا يا عزيزي .

ونفت دُخان سيجاره مرة أخرى ، قبل أن يردف :

— ليس قبل أن يجتاز (عصام) اختبار الثقة .

وضاقت حديقته ، وهو يردف في لهجة مخيفة :

— عندئذ إما أن يحوز ثقتي تماماً .. أو .. أو نقتله .

لم يكد (عصام) يدلف إلى حجرته بالفندق ، حتى عقد حاجبيه في ضيق ، وأشار إلى الرجل الوسيم ، الجالس على طرف فراشه ، وهو يقول في غضب :

— ماذا تفعل هنا ؟

ابتسم الرجل ، الذي لم يكن سوى (چان) ، وقال :

— أعمل على حمايتك .

هتف (عصام) في سُخط ، وهو يخلع معطفه :

— أي سُخف هذا ؟

هز (چان) كتفيه ، وهو يقول :

— إنني أتفق معك في الرأي هذه المرة ، ولكن ماذا يمكننا

أن نفعل ؟ .. إنها أوامر مسيو (رولان) .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول في حدة :

— وهل اعتدت إطاعة كل أوامر مسيو (رولان) ، دون

مناقشة .

أجابه (چان) ضاحكاً :

— بالتأكيد ، ما دام يدفع بسخاء .

ابتسم (عصام) للدعابة ، وقال :

— وهل أمرك بالبقاء في حجرتي ؟

هزّ (چان) رأسه نفياً ، وهو يقول :

— بل أمرني بحمايتك فحسب ، ولكنني وجدتني ما دمنا

قد تعارفنا من قبل ، فمن الأفضل أن نقضى الوقت معاً ، حتى

يمكن لكل منا أن يرفّه عن الآخر على الأقل .

أجابه (عصام) في صرامة :

— أظن أن لديّ اقتراحاً أفضل .. ما رأيك في أن تعود إلى

منزلك وتنام ملء جفنيك ، دون أن يعلم (رولان) أنك قد

فعلت .

هزّ (چان) رأسه نفياً ، قائلاً :

— مستحيل .. إنني رجل مخلص في عملي ، و

قبل أن يتم عبارته ، هبت زوبعة مفاجئة ..

زوبعة على هيئة خمسة رجال مسلحين ، اقتحموا الجناح

بغته ، ودون مقدمات ..

زوبعة قاتلة ..

تجمّد (عصام) و (چان) في مكانهما لحظات ، وقد

تولّاهما الذّهول ، إزاء ذلك الاقتحام غير المتوقع ، ثم لم يلبث

(چان) أن انتزع مسدّسه ، وهو يهتف :

— ابتعد يا مسيو (عصام) .. إنهم

طار مسدّسه بغته ، برصاصة صامتة ، انطلقت من مسدّس

أحد الرجال الخمسة ، المزوّد بكاتم للصوت ، فرفع ذراعيه إلى

أعلى ، وتراجع في دُعر ، على حين هتف (عصام) في توثر

بالغ :

— من أنتم ؟ .. ماذا تريدون ؟

صوّب إليه ثلاثة منهم مدافعهم الآلية ، واقترب منه رابع ،

ولكزّه بفوهة مسدّسه ، الذي تتصاعد منه أدخنة الرصاصة

الأولى ، التي أطاحت بمسدّس (چان) ، وهو يقول في

صرامة :



هوى الرجل على وجهه بصفعة قوية ، وهو يسأله في صرامة ..

— لحساب من تعمل هنا ؟ ..

— نريد اعترافاً .

هتف (عصام) في عصبية ، وهو ينقل بصره بين وجه الرجل ، والطلع المرتسم على وجه (جان) ، والرجل الخامس يصوب إليه مدفعه الآلى :

— اعتراف بماذا ؟

اقترب منه الرجل ، وقال في قسوة :

— لحساب من تعمل ؟

أجابه (عصام) في توثر :

— إننى صحفي مصرى .

هوى الرجل على وجهه بصفعة قوية ، وهو يسأله في صرامة :

— لحساب من تعمل هنا ؟

هتف (عصام) في غضب :

— لست أعمل لحساب أى مخلوق .

ضاق حذقتا الرجل ، وهو يميل نحوه ، قائلاً في خشونة :

— وماذا عن (رولان روجيه) ؟

أجابه (عصام) في جدّة :

— ماذا عنه ؟

قال الرجل في وحشية :

— بلغنا أنك تعمل لحسابه .

قال (عصام) في حنق :

— ومن أنتم بالضبط ؟

هوى الرجل على وجهه بصفعة أخرى ، وهو يقول

صارحاً :

— ليس هذا من شأنك .. ليس لك حق السؤال ..

ستجيب عن أسئلتى فحسب ..

هتف (عصام) :

— فلتذهب إلى الجحيم .. إننى لا أعمل لحساب (رولان)

أو أى وغد آخر .

عاد الرجل يميل نحوه ، ويتطلع إلى عينيه مباشرة ، قائلاً :

— أتعلم ماذا سأفعل بك ، إذا ما ظللت مصراً على

الكذب ؟

وبحركة سريعة ، التفت إلى (جان) ، هاتفاً :

— سأفعل بك هكذا .

ومن فؤهة مسدسه المزود بكاتم للصوت ، انطلقت

رصاصة ، وجحظت عينا (عصام) ، عندما سمع (جان)

يتأوه في ألم وذعر ، والدم يتفجر من جرحه ، بين عينيه

تماماً ، قبل أن يسقط جثة هامدة ..

لقد اتخذ الأمر منحى جديداً ..

منحنى نحو جحيم الموت ..



— قلت لك إننى أعمل لحساب الصحف المصرية
فحسب .

هوئى الرجل على فكّه بلكمة قوية ، وهو يهتف :
— اعترف .

وهنا فقد (عصام) أعصابه ..
لم يقدّ يحتمل هذا الأسلوب السخيف المهين ، فهتف
غاضباً :
— أيها الأوغاد .

وبكل ما يملك من قوة ، ركل المسدّس من يد القاتل ،
وهوى على فكّه بلكمة كالقنبلة ، ثم استدار يواجه الأربعة
الآخرين ، ولكن ضربة قوية هوت على مؤخرة عنقه ، فمادت
به الأرض ، وأظلمت أمامه الدنيا ، و
وسقط فاقد الوعي ..

كان يقف فى منتصف حجرة ضخمة فسيحة ، عارية من
الأثاث ، إلا من مقصلة مخيفة ، فى منتصف المكان تماماً ..
وكان وحيداً ..

وفجأة ، ظهر رجل يرتدى زى القاضى ..
وكان هذا الرجل هو (رولان) ، الذى قال فى صرامة :

١١ — اختبار الثقة ..

اتسعت عينا (عصام) فى دُهور ، وهو يحدّق فى جثة
(جان) ، الملقاة تحت أقدام الرجال الخمسة ، وانتفض قلبه
فى توثر بالغ ، عندما التفت إليه القاتل ، وعاد يفرز قُوّه
مسدّسه فى عنقه ، هاتفاً فى وحشية وشراسة :

— والآن قلّ لى : لحساب من تعمل ؟

غمغم (عصام) فى غضب :

— أنت حقير .. أحقر من رأيت فى حياتى كلها .

صفعه الرجل على وجهه فى غضب ، وهو يصرخ :

— كُفّ عن مراعتك وحكمك ، واعترف .

صاح (عصام) فى مرارة :

— أعترف بماذا ؟

جذبه الرجل من عنقه فى عُنف ، وهو يصرخ :

— لحساب من تعمل ؟

هتف (عصام) :

— إننى أحكم عليك بالإعدام .

حاول (عصام) أن يهتف معترضًا ، ولكن صوته اختنق
فى حلقه ، فلم يخرج من بين شفثيه حرف واحد ، وراح قلبه
ينبض فى قوة ، والقاضى يستطرد :
— تحذوه .

برز رجلان ضخما الجنة من جانبى القاضى ، وتقذما نحو
(عصام) ، وحمله إلى المقصلة ، حيث تبين له وجود جلاد ،
يخفى وجهه بقناع أسود ، إلى جوارها ..
وقال الجلاد فى صرامة :

— اتحن .. سأقطع رقبتك .
بدا له الصوت مألوفًا ، فهتف فى توثر :

— من أنت ؟
أجابه الجلاد فى سُخرية :

— ألا تعرفنى ؟

ثم خلع قناعه ، وتطلع إليه باستهتار ، فصرخ هو :

— مستحيل !.. أنت يا (عادل) ؟!.. أنت الجلاد ؟!

دفعه (عادل محمود) فى صرامة ، ووضع عنقه أسفل نصل
المقصلة ، وهو يقول فى غلظة :

— ولماذا مستحيل ؟.. إننى أنفذ القانون .

وفجأة ، رأى أمامه (چان) ..

(چان) نفسه ، بلحمه وشحمه ..

وكان يتنسم ، قائلاً فى هدوء :

— هيا يا صديقى (عصام) .. دعهم ينتهون من الأمر
بسرعة ، فأنا أنتظر على أحر من الجمر .
صرخ (عصام) فى دُعر :

— كلاً .. لست أرغب فى الذهاب إليك الآن .. لم يخن
الوقت بعد .

ابتسم (چان) ، وهو يقول :

— ماهى إلا لحظات يا صديقى .

هتف (عصام) فى ضراعة ، وهو يرفع عينيه إلى
(عادل) :

— لا تقتلنى يا (عادل) .. أرجوك .. إننى صديقك ..

أجابه (عادل) فى صرامة وبرود :

— سبق السيف العذل .

ثم دفع ذراع النصل ، وهوت المقصلة ..

انتفض جسد (عصام) في عُنْف ، وهو يستعيد وعيه ،
هاتفًا :

— كَلَّا .. كَلَّا ..

انتفض جسده مرّة أخرى ، عندما سمع صوت (عادل) ،
وشعر بكفه تربّت على كتفه ، وهو يقول :

— اهدأ يا (عصام) .. اهدأ يا صديقي .. لقد مرّ كل
شيء بسلام .

أدار (عصام) عينيه إليه في حِدّة ، وتحسّس عنقه في دُعر ،
وهتف :

— أين أنا ؟! .. أنا حيّ ؟!

ابتسم (عادل) ، وهو يقول في خُفوت :

— بالطبع يا صديقي .. إنك حيّ ، وفي خير صحة
وعافية .. إنها غيوبة بسيطة فحسب .

زفر (عصام) في قوة ، وهتف وهو يعتدل :

— ياله من كابوس !!

ثم تلفّت حوله ، مستطرذا في توثر :

— أين ذهب هؤلاء الأوغاد ؟

ابتسم (عادل) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

— لقد انصرفوا ، فقد أتموا مهمّتهم ، ولم تعد هناك حاجة
لبقائهم .

سأله (عصام) في توثر :

— وماذا عن جثة (چان) ؟

أجابه (عادل) في هدوء :

— انصرفت معهم .

تنهّد (عصام) مرّة أخرى ، وقال :

— يا إلهي !!!.. لولا أنك قد أخبرتنى مسبقًا بما سيفعلونه ،
لتوقّف قلبي من شدة الرُعب .

ربّت (عادل) على كتفه مطمئنًا ، وهو يقول :

— إنه أسلوب تقليدي قديم يا (عصام) .. أسلوب

يطلقون عليه اسم (اختبار الثقة) ، فهم يحذرون عميلهم من

أن يذكر لأي مخلوق أنه يتعامل معهم ، مهما كانت الأسباب ،

وبعدها يتعرّض لهجوم مثل هذا ، ويحاول بعض الجهوليين إجباره

على الاعتراف باسم الجهة ، التي يعمل لحسابها ، ويستخدمون

لذلك مُختلف وسائل الضغط والإرهاب ، فإذا ما اعترف

العميل ، كان هذا يعني أنه لن يصلح للعمل ، ولو أصرّ على

النفي والإنكار ، كما فعلت أنت ، فهذا يعني أنه عميل موثوق

به ، من الطراز الأوّل .

غمغم (عصام) في توثر :

— لقد أخبرتنى بذلك من قبل ، ولكنني لم أتوقع في الحقيقة أن يقتلوا أحد رجالهم ، مجرد التأكد من صدقي .
— ابتسم (عادل) ، وهو يقول :
— لو أنك تقصد (جان) ، فأنت مخطئ ، فهم لم يقتلوه أبداً .

اتسعت عينا (عصام) في دهشة ، وهتف في اعتراض :
— كيف ؟!.. لقد رأيتهم بنفسى يفعلون !
اتسعت ابتسامة (عادل) ، وهو يقول :
— لا تصدق كل ما تراه عيناك يا صديقي .
ثم اعتدل ، مستطرذاً في اهتمام :

— كل شيء كان معدداً بمنتهى الدقة ، فالرصاصة الأولى ، التي أطاحت بمسدس (جان) ، كانت رصاصة حقيقية ، مما أوحى لك بأن كل رصاصات المسدس الذي أطلقها حقيقية ، ولكن هذا غير صحيح ، فالرصاصات الأخرى كانت كلها زائفة ، تحوى فقط كبسولات الدماء الصناعية المتفجرة ، ولقد لعب (جان) دوره في مهارة ، عندما انفجرت الكبسولة على جبهته ، وسال منها الدم الصناعي ، فتهاوى ، وسقط كالجنة الهامدة .

هتف (عصام) في دهشة :

— يا للأوغاد !!

مطأ (عادل) شفتيه ، وهو يقول :

— هكذا تدار اللعبة يا صديقي .

رأى صمت رهيب لحظات ، وكأنما يحاول (عصام) هضم الموقف كله ، قبل أن يسأل (عادل) في هدوء :
— ما الغرض من هذا كله يا (عادل) ؟
سأله (عادل) في اهتمام :
— ما الذى تقصده بهذا ؟
أجاب (عصام) :
— كل ما يحدث .

صمت (عادل) تماماً ، وهو يتطلع إلى (عصام) في هدوء ، ثم نهض من مقعده ، واتجه إلى الشرفة ، ووقف يتأمل (باريس) من خلف زجاجها لحظات ، قبل أن يقول في جدية بالغة :

— اسمعنى جيئداً يا (عصام) .. الحرب بيننا وبين (الموساد) حرب طويلة ، ممتدة ، حتى بعد توقيع معاهدة السلام ، تماماً مثل تلك الحرب الباردة ، بين السوفييت

والأمريكان ، وستستمر كل دولة من دولتنا ، في بذل أقصى جهودها ، لتجنيد عملاء من أبناء الدولة الأخرى ، وهم لهم جواسيس بيننا بالتأكيد ، كما لنا جواسيس من بينهم .. ومهمتي لا تقتصر على مكافحة الجاسوسية فحسب ، وإنما تمتد إلى محاولة منع تجنيد آخرين ، وزرع جواسيس لنا أيضا .. وفي حالتك أنت ، تستطيع أن تقول إننا قد أحرزنا نصرا بالفعل ، فيكفي أن نعلم أن (رولان روجيه) هو أحد كبار ضباط (الموساد) ، الذين يستوطنون (باريس) ، ويسعون لتجنيد أبنائنا .. هذا وحده يغني أن (الموساد) قد خسر واحدا من أبرع رجاله ، وأنا قد انتصرنا في هذا الجزء من المعركة .

غمغم (عصام) :

— ألا يكفي هذا ؟

أجابه (عادل) في حزم ، ودون أن يلتفت إليه :

— كلا .

ثم صمت لحظات أخرى ، قبل أن يستطرد :

— لقد نجحنا حتى الآن في كشف اثنين من أفضل ضباط

(الموساد) ، وفي منع محاولة ذكية لتجنيدك ، ويمكننا أن نتوقف هنا ، ونعتبر أننا قد انتصرنا بكل المقاييس ، إلا أنه من الخطأ أن نفعل ، وأن نتخلى عن فرصة نادرة كهذه .

سأله (عصام) في اهتمام بالغ :

— أية فرصة ؟

أجابه (عادل) في حزم :

— فرصة أن نصنع من جاسوسهم جاسوسا لنا وسطهم .

هتف (عصام) :

— أتعني أن تصنع مني جاسوسا مزدوجا ؟

التفت إليه (عادل) ، وهو يقول :

— بالضبط .

هتف (عصام) في انفعال :

— يا إلهي !!! إنها لعبة شديدة الخطورة .

أجابه (عادل) :

— ولكنها شديدة الروعة أيضا .

واقترب منه ، ووضع يده على كتفه ، مستطردا :

— لو نجحنا في أن نجعل هؤلاء الأوغاد يمنحونك ثقتهم ،

فسيعني هذا أن تصبح عميلهم الأثير ، وقد يقودنا هذا إلى

كشف عدد كبير من عملائهم في (مصر) .

غمغم (عصام) في توثر :

— وهل يمكنني اكتساب ثقتهم ؟

أوما (عادل) برأسه إيجابا ، وهو يقول :

— بالتأكيد ، لو أحسنّا لعب المباراة .

غمغم في شحوب :

— كيف ؟

ابتسم (عادل) ، وتنهَّد في عمق ، وربَّت على كتفه ،
قائلاً :

— اترك هذا لي .

واتسعت ابتسامته ، وهو يردف :

— ولقد نلت جزءاً من ثقتهم بالفعل .

غمغم (عصام) :

— أتغني بعد عملية اختبار الثقة هذه ؟

أجابه (عادل) في حسم :

— بالطبع .

رأى الصمت لحظات ، ثم غمغم (عصام) في خُفوت :

— وماذا لو أنهم قد كشفوا أمرى ؟

أشاح (عادل) بوجهه ، وهو يقول :

— إنهم ليسوا بالبراعة التي تتصوَّرها .. دعاياتهم فقط

تجعلك تتصوَّر ذلك ؛ ولكنهم كأي جهاز مخبرات ، يمكن

خداعهم ، و

قاطعه (عصام) في خُفوت :

— (عادل) .. إنك لم تُجِبْ عن سؤالى بعد .. ماذا لو

أنهم قد كشفوا خُدعتنا ؟

صمت (عادل) تماماً ، وهو ينظر إلى الجهة الأخرى ،
ورآه (عصام) يزدرج لعبه على نحو ملحوظ ، قبل أن يلتفت
إليه ، ويتطلَّع إلى عينيه مباشرة ، قائلاً في خُفوت :

— سيقتلونك .

شُحِب وجه (عصام) ، وامتنع في شدَّة ، وراح يتطلَّع
بدوره إلى عيني (عادل) ، قبل أن يُرغم شفثيه على الابتسام ،
وهو يغمغم :

— فقط ؟!

ابتسم (عادل) ابتسامة باهتة ، وهو يغمغم :

— فقط يا (عصام) .

مرَّت لحظات صمت أخرى ، قبل أن يتراجع (عصام)
في مقعده ، ويرسم على شفثيه ابتسامة هادئة ، قائلاً :

— حسناً ، ومتى يمكننا أن نبدأ ؟

أجابه (عادل) في إعجاب :

— الآن يا بطل .

وفي قوة وحزم وعزيمة ، التقى كفاهما ، وتصافحا ، وفي
قلب كل منهما ، عزفت موسيقى السلام الوطنى ..
السلام المصرى ..

١٢ — النجاح ..

أطلق (رولان روجيه) ضحكة عالية رثانة ، تموج بالظفر والغرور ، قبل أن يربّت على كتف (ريمون) في قوة ، هاتفا :
— هل رأيت يا عزيزي ؟.. لقد اجتاز الصحفي اختبار الثقة في نجاح .

عقد (ريمون) حاجبيه ، وهو يغمغم :
— ما زلت لا أشعر بالثقة ، بالنسبة لهذه العملية .

أطلق (رولان) ضحكة أخرى ، وقال :
— يبدو أنك قد تجاوزت سن الشباب والحماس يا صديقي .

غمغم (ريمون) في سُخْط :
— عجباً !!.. يلوح لي أنك أنت الذي عدت إلى سن الطفولة والمراهقة والنزق .

ضحك (رولان) في مرح ، وهو يقول :
— من حُسن حظك أننى رائق المزاج هذه الليلة يا عزيزي (ريمون) ، وإلا أَطْلَقْتُ النار على رأسك ، بسبب هذه

العبارة السخيفة ، التى خدّعتك بها لسانك ، فانزلت من بين أسنانك القدرة .

همهم (ريمون) بكلمات ساخطة ، غير مفهومة ، وقال في جدّة :

— إنك تتحدّث كما لو كنت قد ربحت العملية !
أجابه (رولان) في ثقة :
— لقد فعلت .

هتف (ريمون) في سُخْط :
— كيف ؟.. إننا لم نربح من ذلك الصحفي مقدار خردلة بعد .

ابتسم (رولان) في سُخْرية ، وهو يقول :
— بل ربّنا الكثير يا عزيزي (ريمون) ، ولكن قصر نظرك ، ومحدودية تفكيرك يمنعناك من رؤية أرباحنا .
ولوّح بكفه على نحو مسرحى متفطرس ، وهو يستطرد في ثقة أقرب إلى الغرور :

— لقد ربّنا ثقة الصحفي ، وهذا وحده سيدفعه إلى إطاعة كل ما نأمره به ، ونظراً لأنه غير محترف ، فسيكون من السهل علينا أن نقوده إلى أهدافنا ، وهو يتصوّر أنه يسير نحو هدفه

هو .. لقد اجتاز اليوم (اختبار الثقة) ، ورفض أن يخبر مجموعة (حاييم) بأنه يعمل لحسابنا ، على الرغم من تمثيلية قتل (جان) أمامه ، وهذا يعني أنه يعمل لحسابنا بإخلاص .

غمغم (ريمون) في استخفاف :

— وماذا بعد ؟

أجابه (رولان) في حدة :

— قبل أن يعود إلى وطنه ، سأكون قد درّبتَه على استخدام الأخبار السريّة ، وقراءة وكتابة وترجمة شفرتنا الخاصة ، وفي وطنه سيجمع لنا ما يكفي من المعلومات ، وستكون مهمّتهم في (تل أبيب) قاصرة على تحليل المعلومات ، والتأكد من صحتها وصلاحيّتها .

صمت لحظة ، ليجذب أنفاس سيجاره في قوة ، وينفث الدخان في عمق ، قبل أن يستطرد :

— بعد شهر واحد ، سيمكننا أن نتأكد من اتجاهه ، وسيكون قد تورّط معنا ، بما يكفي لضمان عدم تراجعِه أبداً . وبرقت عيناه على نحو أشبه بالثعالب ، وهو يردف :

— وعندئذ نرفع راتبه إلى الضعف ، ونصارحه بحقيقة عمله .

غمغم (ريمون) في حنق :

— ستكون خطوة بالغة الخطورة .

فرقع (رولان) سبّابته وإبهامه ، وهو يقول :

— وحاسمة .

ثم عاد يتسم ، مستطرداً :

— فإما أن يواصل العمل بعدئذ ، أو يتراجع ، علماً بأن

تراجعَه ، مع ما ستخذه من احتياطات ، سيدو له أشدّ خطورة من استمراره في اللعبة .

سأله (ريمون) في ضيق :

— وماذا تتوقّع أن تصنع منه بعد ذلك ؟

هتف (رولان) في زهو :

— جاسوساً من الدرجة الأولى ، على مستوى ضابط

حالة .

صاح (ريمون) في استنكار :

— أتعني أنك ستنقله إلى مرحلة تجنيد الآخرين مباشرة ؟

أوماً (رولان) برأسه إيجاباً ، وقال :

— إنه عبقرى ، وهذا هو أصلح مجال له .

ثم رفع كأسه عاليًا ، وهو يقول :

نخب أخطر عملائنا مستقبلاً .

رفع (ريمون) كأسه في تردّد ، وهو يغمغم :

— سيحتاج هذا إلى تدريب الصحفي على نحو خاص

يا (رولان) .

أجابه (رولان) في هدوء :

— سيحصل على كل ما يلزمه من تدريبات يا عزيزي .

وبرقت عيناه مرة أخرى ، وهو يستطرد :

— في قلب (إسرائيل) نفسها ..

وتقارعت كئوس الشر ..

وبدأت لعبة الخطر ..

[انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني]

(قضية لعبة الثعالب)



روايات مصرية للجيب

مغامرات ٢ × ٤

صدر من هذه السلسلة

- ١ - قضية الصرّاف . ٢١ - قضية الطفل الثالث .
- ٢ - قضية قتل الفندق . ٢٢ - قضية شرطى المُرور .
- ٣ - قضية بائع الذهب . ٢٣ - قضية الجريمة الوهميّة .
- ٤ - قضية حادث المقطم . ٢٤ - قضية منتصف الليل .
- ٥ - قضية المهرب . ٢٥ - قضية حرب الخابرات .
- ٦ - قضية لص السيّارات . ٢٦ - قضية العالم المفقود .
- ٧ - قضية مزور النقود . ٢٧ - قضية القناع الملعون .
- ٨ - قضية الجاسوس السريّ . ٢٨ - قضية أسلحة الدمار .
- ٩ - قضية تاجر المخدرات . ٢٩ - قضية قصر الجريمة .
- ١٠ - قضية العقد المفقود . ٣٠ - قضية الحصان الأسود .
- ١١ - قضية جامع الطوابع . ٣١ - قضية القاتل المخترق .
- ١٢ - قضية لاعب الكرة . ٣٢ - قضية الوصية الضائعة .
- ١٣ - قضية مصرع الحلاق . ٣٣ - قضية الحارس الليلي .
- ١٤ - قضية الضابط المزيف . ٣٤ - قضية بحيرة الأسرار .
- ١٥ - قضية الحريق الغامض . ٣٥ - قضية كنز القلعة .
- ١٦ - قضية جريمة المسرح . ٣٦ - قضية شبح الضحية .
- ١٧ - قضية قطار الرعب . ٣٧ - قضية الغواصة المحترقة .
- ١٨ - قضية السجين الهارب . ٣٨ - قضية أخطر العملاء .
- ١٩ - قضية رجل الساعة .
- ٢٠ - قضية لعبة الموت .

